كلمتين..
بَرَّه الصَنْدُوق

الكاتب: أحمد عبد العزيز.

تدقيق لغوي: الحسن محمد.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

تصميم غلاف: محمد محسن.

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٩٠٣٦

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٨٩-٥٧-٢

كاريزما للنشر والتوزيع

9 شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين

بجوارمدارس حسام الدين الخاصة فيصل الجيزة.

موبايل 01126026691 01061813345

01009823984

كلمتين..
بَرَّه الصَنْدُوق

أحمد عبد العزيز

مقدمة

أنا متفق معك تمامًا في أن هذه هي المقدمة التي لا يقرؤها أحد (الكلمتين الحشو اللي لا بد منهم)، ولكني اعتبرتهم جزءًا مهمًا جدًا من الكتاب، فلو سمحت اكمل القراءة لأنها ستساعدنا سويًا لكي نبدأ رحلة كشف ما يتحدث عنه هذا الكتاب.

وقبل أن تتفاجأ بالكلام الفارغ الذي يحتويه «**وأنت لسه ممكن ترجعه للراجل وتاخد فلوسك ويا دار ما دخلك شر**».

من فترة طويلة وأنا أكتب لمجرد الكتابة ولم يكن أبدًا يومًا ما لغرض النشر، أو من الممكن لأني كنت أحاول إخراج طاقة مكبوتة بداخلي، أو أحاول الرد على تساؤلات كثيرة تدور بداخل عقلي في بعض الأوقات عن تحليلات سياسية أو اجتماعية عن مشاهدات وخواطر وعن رؤية نقدية ساخرة.

وقد حاولت كثيرًا أن أصنف ما أكتبه ولم أجد له تصنيفًا محددًا لكنني استطعت فقط وصفه بأنه رؤية مختلفة عن الكون والأفلاك والزمان والمكان، عن الأديان والحياة الروحية وفهمنا لها، وعن الإنسان و«**حواديته الكتير أوي**».

وقد كان لي بعض التجارب البسيطة في نشر كتابات مثل الكثيرين على صفحتي على الفيس بوك، كانت مجرد تعليقات على مواضيع على الساحة في وقت حدوثها، وفي يوم رد عليّ في تعليق فيسبوكي صديق لي، وأحب جدًا أذكر أن اسمه هو الأستاذ أشرف زهران.

«**قالي: أحلي حاجه في كلامك إنه دايمًا بره الصندوق**»، ورغم أنه كان مجرد تعليق مثل علامات الإعجاب وخلافه إلا أنه استوقفني جدًا، وفكرت فيه كثيرًا، وأعتقد أنني بدأت من هذا اليوم أهتم بما أكتب وأجمعه في مفكرات وورق.

وفي النهاية أعتقد أن هذا التعليق البسيط كان السبب الرئيسي في تفكيري في نشر كتاباتي، أنا لا ادعي الموهبة أو أني فيلسوف العصر، لكن رأيت أن من حقي مثل كل إنسان أن تصبح له رؤية مختلفة، ويفكر بطريقة جديدة وغير مألوفة و«**بره الصندوق**».

أخبرتك أنني لا ادعي على الإطلاق بأني فيلسوف، ولكن دعنا نتوقف هنا لحظة.. ونقطة نظام، لنطرح سؤالًا بسيطًا.. من هو الفيلسوف؟

«**على طول إنت دلوقتي اترسم في ذهنك صورة الراجل أبو دقن بيضا طويلة ولابس شويه هلاهيل وقاعد على قمة جبل يتأمل الفراغ الكوني**»، حسنًا ما رأيك أن نخرج عن المألوف قليلًا، على سبيل المثال «**الست أم أحمد**» وهي تجلس على موقد من الطين من مئات السنين تخبز لأولادها وأحفادها وتتجاذب الحديث مع

باقي سيدات القرية ببساطة، وتبتكر بضع كلمات من حكمة السنين، وترددها خلفها صديقاتها لتصبح فيما بعد «**مثل شعبي**»، ألم تكن «**أم أحمد**» فيلسوفة!

و«**عم مدبولي**» الرجل الطاعن في السن الذي لم يتلقَ يومًا أي تعليم ولكنه رأى من الدنيا الكثير، وفي إحدى جلساته مع أقرانه وهو يعطيهم نصائحه من خبرته في الحياة كان هو الآخر فيلسوفًا!

الفلاسفة ليسوا بالضرورة أن يكونوا «**خواجات**»، ولا أصحاب علم ومعرفة وماجيستر ودكتوراه في المنطق والفلسفة وعلم الاجتماع، أنت أيضًا عندما مررت بموقف صعب ونطقت ببعض الكلمات نقلها عنك أشخاص آخرون و«**اتضرب بيهم المثل**»، كنت فيلسوفًا.

كنت فيلسوفًا لأنك فكرت بطريقة جديدة ومختلفة، وعندما استمع الناس لما قلته، ببساطة قالوا: «**إيه ده... هو إحنا إزاي ما خطرش على بالنا، عمرنا ما فهمناها بالشكل ده**».

ودائمًا وبمنتهى البساطة، وبدون نظريات ولا كتب ولا بحور علم وتأمل تولد الفلسفة من رحم التجربة والخبرة والتفكير بطريقة مختلفة، أنا وأنت أيضًا نتأمل طوال الوقت في جلوسك أمام موج البحر أو حتى في سفر طويل أمام نافذة القطار أو الطائرة.

أرسطو وسقراط وأفلاطون كانوا مجرد بشر مثلنا تمامًا، ولم يكن منهم بروفيسير ولا حمل أحد منهم «**شهادة التوجيهيه**»، لم يكن

حتى قد وجدت الدرجات العلمية ولا الجامعات ومراكز الدراسات والأكاديميات البحثية، كل ما كان لديهم هو الرؤية المختلفة.

وهذا على وجه التحديد هو ما ادعي أنني أملكه، أو هذا ما أخبروني به، التفكير بطريقة ورؤية مختلفة عن المألوف، تشبه قليلًا أن تستقل طائرة وتحلق على ارتفاع عالٍ ومن ثمَّ تعيد مشاهدة الحدث من هذا الارتفاع، وتعيد تقييم ما رأيته حين كنت على الأرض، فحينها ترى الأمور أوضح وترى الصورة كاملة.

قد أكون فقط نفضت التراب عن المشهد المعتاد.

ولذلك فإن هذا الكتاب يتناول مجموعة من الرؤى المختلفة وغير المترابطة في مواضيعها لكن بالأسلوب نفسه، والهدف نفض التراب.

منها الغريب والمجنون ومنها السهل الممتنع، منها ما يدفعك للتفكير، ومنها ما قد يترك بسمة على وجهك، ومنها ما قد يخيفك ويقشعر له جسدك.

أتمنى أن أستطيع مساعدتك في الخروج من جمود الحياة، وأن يتيح لك هذا الكتاب استراحة قصيرة من الضغوط والمسؤوليات، وتشاهد معي الأمور بنظرة مختلفة،

وهما مجرد كلمتين.. «**بره الصندوق**».

كُن.. فيكُون

أحببت أن أبدأ كتابي بهذه الكلمات كن.. فيكون، الأمر الإلهي للخلق، كل الخلق، الكلمة التي اختارها الله بنفسه.

كلنا طالما استخدمناها أثناء نقاشنا مع شخص يتعجل تنفيذ أمر ما ولا يتفهم احتياجه للوقت والجهد، ودائمًا نقول له: «**إنت فاكر إيه؟... هي كن فيكون**».

والحقيقة إن هذا التعبير كان خاطئًا جدًا ومثلًا غير منطبق على الحالة، نحتاج القليل من التأمل في هذه الكلمات ونعيد صياغتها في عقولنا؛ لأن من أهمية فهمنا الصحيح لها قد نتفاجأ أنها من أهم الأشياء في حياتنا التي تعثرنا في فهمها دائمًا!

أولًا.. دعنا نفند هذه العبارة من المنظور اللغوي:

- (كن) فعل أمر تام... وهو الأمر الإلهي للخلق.
- (ف) حرف الفاء هنا استئنافية تربط الكلمتين بعضهما البعض.
- (يكون) فعل مضارع مستمر يفيد حدوث ما أمر به الله بفعل كن.

والاستعاره التمثيلية هنا في قوله تعالى (كن فيكون) هو تمثيل لسهولة حدوث المقدرات بأمره ومشيئته غير المحدودة.

وقد ذهب البعض دومًا لتفسير ذلك بسرعة الحدوث (في التو واللحظة)، وهذا ما نريد مناقشته، البعض فسر ذلك على أنه دليل على السرعة لما في قدرات الله من عدم المحدودية وقدرته على ذلك، ولكن التأمل والمشاهدة قد يدفعنا لتفسير آخر، مختلف بعض الشيء لكنه لا يخرج بالطبع من حقيقة لا محدودية قدرة الله في الخلق.

فإن الله أراد أن يخبرنا قدرته على الخلق بمجرد الأمر، مجرد كلمة تنقاد لها كل الظروف والمعطيات حتى يصير ما أمر به واقعًا.

واستخدم (يكون) لدلالتها على استمرار الحدث، الحدث الذي أمر الله بأن يكون (كان واستمر) وتكرر حدوثه مرات ومرات، وهو قادر على تكونيه من البداية مرات ومرات أيضًا، ولكن من المشاهدات في كل واقع حياتنا كان لزامًا علينا التوقف والتساؤل، كم استغرق تكوينه؟ هل ظهر من العدم فجأة؟ وهو قادر على ذلك أم خُلق طبقًا لقانون الحياة والتكوين والتطور، ذلك القانون الذي وُجد وخُلق بقدرة الله أيضًا وبكلمة كن.

الحقيقة إن الإجابة المنطقية أن هو من وضع قانون الخلق من البداية ثم خلق بداخله وبقواعده كل ما أمر به باللفظ (كن فيكون)، وبالمشاهدة والتحليل نستطيع إحصاء وسرد وتدوين كل المعجزات التي حدثت يومًا في التاريخ من الكتب السماوية والروايات الموثوقة، ربما في بضع ورقات.

ولكن على الجانب الآخر لن نستطيع مهما حاولنا إحصاء وسرد وتدوين البعض القليل مما خُلق ويخلق كل لحظة باتباع الله لقانون الخلق الذي قدره لنا؛ لذلك فإن القاعدة الراسخة في حياتنا هي الخلق تبعًا لمراحل الخلق وتوقيته وزمنه الطويل بحساباتنا، والاستثناءات هي المعجزات بالطبع، وكلا الأمرين حدثا بعد أمر إلهي واحد هو (كن فيكون)، إذن ليس سرعة الخلق ولا الخلق في التو واللحظة هي القاعدة إنما هو الاستثناء، وكلاهما في قدرة الله اللا محدودة.

وهذا السؤال سيظل بلا إجابة وافية في هذه الحياة، لكن ما يتعلق بإدراك المغزى فهو واضح لنا طوال الوقت ونستطيع رؤيته حولنا كل لحظة.

ولذلك كانت القاعدة التي لا بد أن نبدأ بها حوارنا هي أن الفرق الجوهري بين الخلق من العدم في التو واللحظة والخلق تبعًا لقانون الخلق الإلهي تتعلق بالسرعة أو بمعنى أوضح بالزمن، وذلك الزمن هو العنصر المحسوس من البشر غير الموجود في قواعد وقوانين الله، لأنه ببساطة لا نستطيع تطبيق قوانين البشر على الإله؛ لأن الله لا يحده قانون ولا يحسب له زمن طال أو قصر بالنسبة لنا، الزمن غير موجود أصلًا في حساب الله، كالمعامل صفر في القوانين الفيزيائية.

ولأن غالبًا الإجابة لن تصبح كاملة من عقل مخلوق بحدود الإدراك الذي خلقها له الله، ولأن الحقيقة أن عقلنا المحدد بقواعد الزمان والمكان لن يدرك عدم وجودهم في قواعد الله ولن يستطيع

أن يفهم ألا فرق بين الأمرين، إذا أصبح لا وجود للزمن في المعادلة؛ لذلك فإن البحث عن الإجابة بالعقل مجرد عبث، غاية ما يستطيع عقلنا هو التأمل ومحاوله الفهم، ولكي نستطيع الفهم تعال نسرد بعض الحقائق التي نراها حولنا، تعال نفكر قليلًا.. «**بره الصندوق**».

عندما أمر الله بخلق الحياة على هذا الكون استغرق تنفيذ الأمر قرابة ١٤ مليار سنة حتى يتكون الكون والأجرام السماوية النجوم والشموس والكواكب لتوجد هذه الأرض التي خلقت عليها الحياة.

وعندما أمر الله بخلقك أنت استغرق تنفيذ الأمر ٩ أشهر حتى تتكون في رحم أمك وتتطور ويكتمل نموك وتولد، بكل ما في الأمر من متطلبات وطبيعة خلق.

وبعد ميلادك استغرق الأمر سنوات حتى تكبر وتتعلم وتنضج وتدرك وتستطيع قراءة هذه السطور.

وعندما أمر الله بخلق دابة استغرق تنفيذ الأمر (من بعد خلق الكون) ملايين السنين لتوجد أول حياة في صورة أولية من خلايا حية، وتنقسم وتتكاثر وتتطور إلى كائنات بسيطة مجهرية وتتبدل وتتحور إلى كائنات بدائية ثم إلى كائنات حية تتنفس وتأكل وتشرب، ووفر لها في ملايين السنين البيئة اللازمة لحياتها من غلاف جوي لتنفسها ودرجة الحرارة المناسبة لحياتها مثلما وفر لها الغذاء.

وهكذا في كل مثل من الأمثلة ستجد وحدة الخلق ووحدة الخالق تتجلى بتطبيق قانون الخلق.. كن فيكون.

ومن هنا يتضح ويعلو شأن المعجزة الإلهية على سبيل المثال في قصة نبي الله العزير، حيث أنشأ الله دابته (الحمار) والطعام أمام عينيه من التراب والعظام المتحللة البالية بفعل زمن يربو على ١٠٠ عام، بإعادة خلقهم في التو واللحظة بتعطيل القانون الطبيعي، وإنشائهم من العدم وليس بداخل الأرحام وتسريع وتيرة قانون الخلق الطبيعي آلاف المرات.

هنا أصبحت معجزة فقط لأنها حدث خارق عن المألوف، ومن هنا كانت العبرة بأن صانع وخالق قانون الخلق وواضع معاييره هو فقط من يستطيع تغيير قواعده وقتما شاء.

تلك المعجزة وهي التي يعني لفظها بلاغيًا (ما يعجز عنه استيعاب عقول البشر) وليس (ما يعجز عنه البشر)؛ لأن البشر في كل الأحوال عاجزين عن الخلق؛ هي الدليل على قدرة الخالق في التو واللحظة، ولكنه لا يفعل ذلك دائمًا بل إن ما يفعله دائمًا هو الخلق في توقيت وزمن حدوثه الطبيعي الذي قدره لمراحل الخلق؛ لذلك عندما اختلفت المعايير رأيناها إعجازًا، استثناءً عن القاعدة.

لا أحب الإطالة في سرد الأمثلة في الكون والحياة ولكنك تستطيع رؤية هذا القانون الإلهي في كل زمان ومكان وفي كل شيء حولك من الحشرات وحتى سفينة الفضاء، كلها خلقت وصنعت بعد توفر العوامل الطبيعية لوجودها والتطور والتكيف والتأقلم مع البيئة المحيطة، ومن تطور الإنسان ومعرفته وإدراكه نتجت الاكتشافات والاختراعات والصناعات من توفر المعرفة والتجربة والخطأ، هذا هو القانون الذي وجد في الحياة مع كن فيكون.

معنى (كن فيكون) الأشمل هو أن كل شيء بأمر الله يستغرق الوقت المحدد له لتواجده بقوانين الحياة والكون (التي خلقها الله)؛ لذلك فقد يختلف كثيرًا فهمك للعديد من الأمور الغيبية والروايات وتستطيع تفنيدها ومعرفة الصحيح من الأسطورة والتحريف والإضافة البشرية بمجرد تطبيقك لهذا القانون.

العديد من الأمور التي افترضناها مسلمات ومعجزات لم تحدث من تلقاء نفسها وفي التو واللحظة، بل تمت بتلك الطريقة وبالقانون الإلهي نفسه، وبالتحضير والتجهيز نفسه الذي قد يستغرق ملايين ومليارات السنين، وهذا ما أرادنا الله أن نفهمه بالعلم وليس الإلحاد، باتباع خطوات العلم في الفهم والدراسة والتفنيد داخل قانون الخلق، الملحدون ضلوا الطريق لأنهم أرادوا تطبيق العلم فقط، وكثير من رجال الدين ضلوا الطريق أيضًا لأنهم طبقوا معيار المعجزة التي تحدث في التو واللحظة دائمًا دون اتباع القانون الإلهي للخلق، طبقوا الاستثناء على القاعدة؛ ولذلك ظهرت في الكتب خرافات كثيرة وأغلبها من الإسرائيليات، ولأنها تحريفات بشرية دون علم ولا علاقة لها بالكتب السماوية بالطبع، فإنه من الخطأ بعد كل هذه المعرفة التي وصلنا إليها أن نحكم بمعايير الزمن القديم نفسها.

من ضمن ما أقصده عن الخرافات على سبيل المثال قضية سطحية الأرض أو كرويتها، ورواية أن الأرض يحملها ثور كبير على قرنيه، ورواية خلق القطة من عطسة أسد، وخلق الخنزير من دبر

الفيل في سفينة نوح مثلًا، والعديد من تلك الخرافات نستطيع الآن ضحدها بكل بساطة وأريحية وإزالتها من الكتب، ونستطيع كذلك فهم الكون والمخلوقات بطريقة أشمل ورؤية أوضح، ولأنك خليفة الله على الأرض وضع لك هذا القانون في كل شيء حولك في الحياة.

وعلمك أن لكل عمل تريد أن تقوم به الزمن اللازم لإتمامه، فحتى تطبيقك لهذا القانون في حياتك سيضفي نوعًا من الراحة النفسية لك ويلهمك الصبر والتحدي في مواجهة أعباء حياتك، مجرد معرفتك بالقانون كن فيكون.

وكأن الله أراد أن يعلمنا الصبر والاجتهاد بين ضفتي كلمتين، ويعطي لنا درسًا في أن إيمانك أن ما أردت فعله سيكون ولكن في الزمن اللازم لذلك، ويعلمك ألا شيء يحدث في التو والحظة، ويوضح لك الرؤية وفهم قصص نجاحات كثيرة حولك، ومن مشاهداتك في الكون حولك تستطيع المقارنة، فإذا كان هذا هو القانون الإلهي في الخلق في هذا الكون، هل تستطيع أنت فرض قانون جديد؟ إذا كانت إجابتك بلا، فقد أدركت أنك إذن لا بد أن تسير وفقًا للقانون، وبأنك تستطيع استخدامه على قدرك، انظر إلى حياتك وحياة غيرك.. هل تريد أن تصبح طبيبًا مشهورًا، عالمًا، لاعب كرة متميزًا، كل هؤلاء ماذا فعلوا ليصبحوا كذلك، وكم استغرقت رحلتهم ليصبحوا كذلك، دراسة من مراحل مختلفة في سنوات، وتخرج، وتدريب وعمل مستمر وصقل خبرات وخطأ أحيانا وتعثر، ونهوض ومثابرة، الرحلة تستغرق سنين حتى تصل، في أول الرحلة تنطق (كن) الخاصة بك.

وبعد السنوات والعمل ترد عليك الحياة بـ(تكون)، وإن قارنت بين (كن) الخاصة بك في إنجاز أي شيء في حياتك و(كن) الإلهية في خلق أي شيء حولك من حيث الفترة الزمنية لاكتمال الخلق، سيساعدك هذا على الصبر واستكمال المشوار القصير جدًا، تذكر أنك لكي تُخلق سبقك ١٤ مليار سنة من التحضير والتجهيز لميلادك في الدنيا، فلا تستعجل السنين، وهذا هو الدرس التي أرادنا الله أن نتعلمه.

أخيرًا، أحب أن أخبرك أنني قد بدأت هذا المقال وقلت (كُن) مقالًا، وكتبته في بضع ساعات، وعدت لأقرأه وأضفت إليه بعض التعديلات وحذفت منه بعض المقاطع ثم عدت وأضفت ثانية وأخيرًا راجعته، وعدلت فيه لآخر مرة.. حتى (كان).

على شط البحر

هل سألت نفسك يومًا ما عمّا تحتويه حبة الرمل الصغيرة «**على شط البحر**»؟

إن سمحت لي أستطيع إجابتك باختصار وإيجاز شديد، مليارات الذرات المتناهية الصغر والمختلفة المترابطة مع بعضها في هيئة مركبات، وكل مركب متكون من مجموعة ذرات متشابكة مع بعضها بفعل قوى الجذب والطرد المغناطيسية المتولدة من دورانها السريع تحت تأثير شحناتها الكهربية السالبة والموجبة للإلكترونات والنيترونات من ملايين السنين!

ما رأيك.. هل كانت إجابتي مملة.. حسنًا، قبل أن تمزق هذا الكتاب وتلقي به في القمامة سأعاود الإجابة، إجابتي الحقيقية المختصرة هي (وحدة الخلق).

في أحد الاكتشافات عثر على بردية فرعونية مدون عليها كلمات من أحد العلماء والكهنة في مصر القديمة يقول فيها (كما فوق كما تحت).

والحقيقة إنني توقفت عند هذه الكلمات كثيرًا جدًا، ودفعني ذلك للتفكير في ما أجبت به عليك في إجابتي المملة الأولى، وأصابني بعض الجنون وشطحت في تفكيري عن وحدة الخلق وعن دلالتها الواضحة على وحدة الخالق.

أصابتني الدهشة حين أدركت أنني لست في حاجة لأن أكون داعية لكي أجعلك تؤمن بالله، كل ما احتجته هو دراسة الفيزياء والكيمياء كغيري في الثانوية العامة وبعض التفكير.. «**بره الصندوق**».

لا تتعجل، سأوضح لك كل ما قصدته حتى تصل إلى اقتناع راسخ بأنني لست إلا «**مجنون رسمي**».. لنبدأ الرحلة.

الكون

نعلم أنه بدأ بانفجار عظيم، انفجار ألف مليون مليار قوة انفجار نووي، استطعنا أن ندرك ذلك ونستوعبه عندما شاهدنا قدرة تفجير نواة الذرة، تلك النواة التي اخترعنا ميكروسكوب يستطيع تكبير الصورة ملايين المرات لمجرد أن نراها.

وتفاجأنا أن هذه النواة بكل هذا الصغر في الحجم ولّدت كل تلك القوة الهائلة، وتمدد تأثيرها مئات وآلاف الكيلومترات في اتساع رهيب، لا يختلف في الأسلوب والنوعية عن اتساع الكون من بداية خلقه بالانفجار العظيم وحتى وقتنا هذا من تأثير الانفجار الأول مع اختلاف الحجم والقوة الذي لا يقارن بالطبع، ما رأيك في التطابق (كما فوق كما تحت).

وبعد الانفجار والاتساع العظيم بدأ تكثف السحب الدخانية العملاقة والرّكام بفعل قوى الجذب والطرد المغناطيسية لتنتج أول مجموعات من المواد أو المجرات العملاقة، وبداخل إحدى المجرات كانت المجموعة الشمسية تتوسطها الشمس، ذلك النجم شديد الحرارة، ويدور حوله عدة كواكب بفعل قوى جذب وطرد تحافظ على مساراتهم من ملايين السنين، ولفت نظري أيضًا تركيب الذرة والمادة؛ لأنك لو اعتبرت الشمس هي النواة والإلكترونات هي الكواكب لن تجد غير تطابق (كما فوق كما تحت).

هي قوانين الجذب والطرد نفسها بلا أي اختلاف سوى فرق الحجم الهائل وناتجة عن الشحنات الكهربية نفسها والدوران المستمر، ولو سافرنا أبعد قليلًا خارج المجموعة الشمسية حتى نصل برؤيتنا إلى المجرة (درب التبانة) مثلًا لن تجد إلا التركيب الذري نفسه في المادة، ستجد تجاذب الذرات مع مثيلاتها في هيئة جسيمات أو مركبات لأكثر من عنصر وبقوانين الكون الكبير نفسها.

تطابق آخر و(كما فوق كما تحت) نسافر أبعد قليلًا، مليون سنة ضوئية مثلًا ونشاهد المجرات كلها وهي تدور حول بعضها بالقوانين نفسها، ونعود لنشاهد مجموعة الجسيمات والمركبات داخل حبة رمل واحدة على شط البحر!

لن أقولها ثانية.. أنت قلتها (كما فوق كما تحت) ولكن ما كل هذا الإبداع.

هكذا أستطيع الإدراك الآن أن بداخل كل حبة رمل هندسة ربانية تفوق الوصف، إن بداخلها عالمًا متكاملًا صاخبًا بالحركة الدائمة والمستمرة من دوران الجسيمات والإلكترونات وطاقة مهولة لا توصف بداخل كل نواة من المليارات لو توفر لها شروط الانفجار.

هل تتخيل أن ما تحدثنا عنه كان مجرد حبة رمل على شط البحر؟

وفجأة تفجر في رأسي العديد من التساؤلات.. أستطيع الآن فقط أن أرى الحقيقة بصورة أوضح.. هل تتخيل أن بداخل جسدك مليارات الذرات.. مليارات العوالم الصاخبة بالحركة والطاقة.

حتى بداخل ما تأكله وتشربه كل يوم نفس هذه العوالم الصاخبة.. في كل شيء حولك... سريرك الذي تنام عليه ومكتبك، وملابسك، وهذا الكتاب الذي تقرأه والحبر الذي كتب به تلك «**الكلمة**» فقط يحتوي على مليارات الذرات والعوالم الصاخبة بالحركة.

قلت لك لا تتعجل، فهنا فقط انتهت المقدمة.

هنا فقط انتهت الكلمات التي تتسم بالعقلانية ولا تتطرق للجنون.. ولنبدأ الآن كلام «**المجانين**»، مجرد أسئلة بسيطة جدًا ومشروعة.

إذا كانت وحدة الخلق والتطابق متواجدة في الكون كما في حبة الرمل على السواء وبالقوانين نفسها، كيف أمنع عقلي من تخيل أن هذا العالم الصغير جدًا (حبة الرمل) لا يحتوي على حياة مثل حياتنا!

هل لو استطعنا في يوم من الأيام اختراع ميكروسكوب يستطيع تكبير الصورة مليارات المرات أكثر لن نتفاجأ!

أليس من الممكن أننا نبحث عن الحياة في الفضاء والكواكب من سنوات بينما الحياة طالما كانت متواجدة أمامنا في حبات رمل متناثرة هنا وهناك، مليارات المجموعات الشمسية المتكاملة بكواكبها ولكن متناهية الصغر!

بداخل تلك الحبة من الرمل ومنها الصالح للحياة.

وذهب عقلي المجنون ثانية ليتخيل أن في هذه اللحظة يجلس أحد المجانين الصغار في كوكب صغير داخل عالم حبة الرمل ويكتب مثلما كتبت، بل إنه قد يكتب هو الآخر عن حبة رمل أصغر «**على شط بحره**»!

ولعله يتعجب أيضًا من تطابق الخلق و(كما فوق كما تحت).. وكذلك إلى ما لا نهاية.

عوالم صغيرة داخل عوالم أكبر داخل عالمنا وعلى شط بحرنا، ولو كان هذا صحيحًا فإلى أي مدى وصلوا في الحضارة والتطور وما لديهم من علوم، هل يستطيعون الوصول إلى ما وصلنا إليه أم أننا نحن المتأخرين عنهم؟

هل لديهم مركبات فضائية تدور في فلك حبة الرمل؟

وهل لديهم أديان وحياة روحية وكتب سماوية ورسل؟

وهل لديهم شيطان صغير يوسوس لهم بالشر؟

هل يراودك شك أن الله قادر على خلق أشكال وأطوار عديدة؟

أليس ذلك هو المنطق نفسه الذي تتقبل به وجود حياه أخرى خارج الأرض، في الفضاء، ليست المشكلة في الحجم إذن، أم إنك ألفت شكل الفضائيين في الأفلام والسينما بل إنك أصبحت تنتظر فقط وصول من يشبههم.

ولو كان هذا صحيحًا أيضًا إذن فلا بد أن يختلف معيار الزمن في هذا الكون الصغير عن معيارنا.

القانون نفسه ولكن بمعيار مختلف.

الزمن عندنا يقاس بمعدلات دوران الأجسام، دوران الأرض حول نفسها.. ٢٤ ساعة أو يوم.. دورانها حول الشمس.. ٣٦٥ يومًا أو سنة وهكذا.. فهل تتخيل السرعة الهائلة لدوران إلكترون حول النواة باعتبارها الشمس عندما تصبح هي معيار(السنة) بالنسبة لهذا الكوكب الإلكترون.

من الممكن أن يمر بضعة آلاف من السنين على كوكبهم في أثناء قرائتك لهذه «**الكلمة**» في ثانية واحدة على كوكبنا.

هل تريد إعادة قراءة السطر الأخير ثانية؟.. أنصحك بهذا.

هل قرأته مرة أخرى، إذن لقد مر على كوكبهم ١٠٠/٠٠٠ سنة أخرى وإذا كان معيار الزمن يختلف على أرضهم فسيختلف بالتأكيد في إحساسهم، وفي اللحظة التي قرأت فيها الكلمة أيضًا، قد عاش ومات المليارات من تلك المخلوقات على كوكبهم وبدأت وانتهت حضارات شعوب وقصص كفاح أمم وصراعات وحروب وملايين الحكايات العاطفية السعيدة والحزينة ومليارات اللحظات الجميلة وآلاف المليارات من قصص الحب والأشعار.

لا يصيبك الدهشة! تستطيع المقارنة بين عمرك من بدايته لنهايته وبين عمر الكون.

قارن بين ٧٠ أو ٨٠ أو حتى ١٠٠ سنة، وبين ١٤ مليار سنة، وسوف تدرك ما قصدته بسهولة.

قارن بين مليارات عاشوا وماتوا على هذه الأرض من بداية وجود الإنسان وحتى الآن.

وتخيل كم تحتاج من أعمار على عمرك حتى تحاول التفكير في كل إنسان منهم لدقيقة واحدة، تتخيل قصة حياة كل فرد وأحلامه وطموحاته وآماله التي حققها والتي تحمّل من أجلها، وأحزانه، قصة حبه التي لم تكتمل، وتلك التي اكتملت وعاشت سنين، وأطفاله الذين ولدوا وكبروا وأصبح لديهم قصص أكثر وصراعات ومآسي.. كل هذا ومثله مرات لا حصر لها.

أصبح تحت الرمل وطي الكتمان وكأنه لم يوجد في يوم ما!

وأنا وأنت سنصبح هكذا في يوم من الأيام.

هل زالت عنك الدهشة الآن، أنا لست مجنون أو على الأقل هذا ما أظنه في نفسي!

لقد كانت مجرد فكرة فكرت فيها وقررت بعدها أن أتوقف عن التفكير لأن فكرتي وصلت إلى هلاوس غريبة ومخيفة.

أثناء محاولتي بأن أتفلسف في حبة الرمل وأتخيل كل هذا العالم بداخلها وكل هذه المخلوقات المسكينة الصغيرة جدًا.

خطر على بالي سؤال أهم.. هل ذلك العالم الذي نعيش فيه بكل شموسه ومجراته؟!

من الضروري أن يكون هو الكبير.. «**إيه الغرور ده**».

(مش برضه ممكن يكون حبايه رمل على شط بحر كبير في عالم أكبر)

وفجأة تذكرت صوت فؤاد المهندس، وهو يقول

(مش كـــــــده والا إيـــــــه)

الثالـوث

حتى لا يساء فهمي فإن الثالوث الذي أتحدث عنه ليس الثالوث المقدس من وجهة نظر الثقافة المسيحية نهائيًا، بل هو ثالوث آخر أعم وأشمل لا يرتبط بأي دين أو ثقافة، الثالوث الذي أتحدث عنه هو الروح والنفس والجسد، كل الأرواح وكل الأنفس وكل الأجساد..إن شئت قُل هي رؤيتي الشخصية.

قد تتفق معي أو تختلف ولكن هي دعوة للتأمل؛ لأننا إن بحثنا في كل الكتب السماوية وفي كل الحضارات والأديان لن نجد حسابًا وثوابًا وعقابًا وجنة ونارًا سوى للبشر.

وإن دققنا برهة قد نعمم معنا الجن والشياطين ولكن لن نجد حسابًا للحيوانات أو الطيور أو الأشجار والجبال وسائر المخلوقات ولا الملائكة.

مما لا بد أن يستوقفنا قليلًا، فنحن البشر والجن والشياطين والملائكة وسائر المخلوقات نشترك في أمر واحد، الحيـــــاة، وقد وهبت إلينا عن طريق الروح.

ولكل منا جسد.. من طين أو من نار أو من نور.

ولكن ليس لكل منا قرار!

نحن البشر والجن لنا الاختيار في الطاعة أو العصيان نختلف عن الملائكة في ذلك، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

كما نختلف عن جميع المخلوقات (الدواب) التي تتحكم فيهم غرائزهم من الجوع والعطش والخوف والشهوة، ولم يعطوا الإدراك والاختيار المطلق بين الخير والشر؛ لذلك فالأمر أسهل كثيرًا، لم يوجد لهم طاعة أو عصيان حتى يحاسبوا عليه؛ إذن قضيتنا هي الإدراك ومن ثمّ القدرة على الاختيار.

ولكي أوضح ما أعني أحتاج أولًا لتفصيل ما أتحدث عنه، توضيح رؤيتي عن كل ضلع من أضلاع الثالوث، سنتحدث عن الروح والنفس والجسد.

أولاً: الروح

هي نفخة الله فينا، وهي سبب الحياة لكل ما هو حي، وللروح ولجميع الأرواح نبع واحد هو الله «**ونفخت فيه من روحي**»، كل ما عداها مخلوق إلا هي من نبع الخالق.

هي السر العظيم، سر الأسرار، كل ما في الكون وكل مخلوق على اختلاف كينونته لا يحظى بالحياة دون هذا السر، ينفخ فيه فيحيا ويقوم ويعيش، ثم يسلب منه فيعود كما كان، إن كان جسدًا من تراب تحلل واندثر، وإن كان نارًا انطفأ، وإن كان نورًا تشتت.

والروح هي نفخة أو هي طيف يُمنح إليك مثلما يؤخذ منك ليس بأمرِك أو إرادتك.

وليس للروح تأثير عليك وليس لك تأثير عليها كمصدر الطاقة، كالكهرباء إذا أنت أوصلت بها أي جهاز يعمل وإذا فصلته عنها توقف عن العمل، وتظل الكهرباء ذات طبيعة واحدة.

لا تحدد من تلقاء نفسها ما يوصل بها ولا ما يفعل الجهاز الذي أوصلته، لا تقرر ولا تفكر ولا تدرك، فقط تقوم بالوظيفة التي سخرتها أنت لأدائها.

ثانيًا: النفس

بكل تأكيد وبكل إثبات من الكتب السماوية فهي منفردة بذاتها عن الروح وليست أبدًا مرادفة للروح، ولكنها تتشابه مع الروح في أنها غير ذات طبيعة ملموسة.

النفس هي الإدراك، وحق الاختيار والصواب والخطأ، قد تكون نظرة فلسفية ولكنها الحقيقة.

إنها نفسك التي تقرأ هذه الكلمات وتفهم معانيها وتفكر وتدرك وتقرر وتحب وتكره، هي من تحاسب وهي من تتنعم أو تتعذب.

هي الأمارة بالسوء وهي المطمئنة.

هي التي تملكها أنت ولا تملكها الدواب.

هي التي بها تشاء وتختار وتفضل وتقرر، هي اختيارك الحر.

هي الإجابة على سؤال قديم.

هل الإنسان مُخير أم مُسير.

أنت مُخير بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ.

المُسير لا يحاسب ولا يكافأ ولا يعاقب، المخير فقط يكافأ على اختياره ويعاقب على اختياره.

تلك هي اختلافك عن كل المخلوقات التي رفع عنها الحساب والثواب والعقاب.

ولأن النفس تقرر وتشاء كان لزامًا أن تتحد بجسد يمنحها القدرة على تنفيذ اختيارها حتى يتحول من قرار واختيار حر إلى فعل، وكان لزامًا للجسد من ما يمنحه الحياة للقيام والحركة؛ لذلك فالنفس تحتاج جسدًا ينفذ إرادتها والجسد يحتاج روحًا ليحيا.

ثالثًا: الجسد

وهو الشيء الوحيد المادي الملموس في هذا الثالوث، وهو أدنى الأضلاع قدرًا، إن كان له قَدر.

هو الشيء اللازم للقيام والحركة لتنفيذ أوامر النفس حتى تصير المشيئة فعلًا، ولذلك الجسد صور كثيرة.

نور أو نار أو طين، كلٌ مناسب لطبيعة الخلق ولطبيعة المكان والزمان،خُلق للجن والشياطين أجساد من نار ليعيشوا طبيعة حياة وقدرات تتماشى مع مادة الخلق.

تحت الأرض أو من خلال الأشياء ولتحمل طبيعه حياتهم.

وخلقنا نحن البشر من طين لأننا نحيا على أرض من طين، ونتقيد بقوانين الزمان والمكان والجاذبية.

ولكي تبلو هذه الأجساد في مادتها الأصلية نفسها، ومن هنا نعلم أن نزول آدم للأرض كان حتميًا، التفاحة كانت السبب فقط، لكن من الأساس خلق الجسد لذلك، كان مصممًا من الأصل لهذا المكان وليس للجنة.

وبهذا الجسد وتلك النفس يشاء ويقرر وينفذ، فيحق عليه الحساب والثواب والعقاب هو وكل ذريته؛ لذلك فإن الله لم يخلقنا ليعذبنا، وبالطبع فلا شيء صُنع عبثًا حاشا لله.

الله أعطاك كل شيء، أعطاك السؤال والإجابة، الله أعطاك سرًا من أسراره، منحك بعضًا من صفاته، جعلك على قمة القمم، فَضلك واصطفاك حين منحك الإرادة.

إن أنت حللت اللغز، لغز الاختيار والمشيئة والقدرة على تحقيقها، الله يريدك أن تسمو نحو ذاته؛ فإن لله القدرة والمشيئة المطلقة.

شاء وجعل صفاته هو العدل المطلق والخير المطلق وسَمَا وتَرفع عن الظلم وعن الشر وهو يستطيع، ولم تكن لتستطيع أبدًا أن تغير ذلك لكنه هو اختار الحق والعدل وجعلهم صفاته العليا.

كذلك أعطى لك الاختيار، أرادك أنت دون غيرك أن تسمو كما سمى، أن ترتقي كما ارتقى.

وأعطاك الإجابة أيضًا حينما أخبرك عن قصة خلق آدم وتكبر وغرور الشيطان ورفضه احترام المخلوق الجديد.

اختار الشيطان العصيان واستحق اللعنة إلى يوم الدين.

الله كان يعطيك المثل على اختيار التدني ومصير من اختاره، وأعطاك المثل في إنه ترك القدرة على الاختيار بإرادة المخلوقات الحرة المدركة، المخلوقات التي وهبها هو الإدراك والتفكير والاختيار.

نعم لقد رأى إبليس وفهم وأدرك تلك الحقيقة منذ آلاف السنين، أدرك امتلاكه حق الاختيار واختار وعصا.

والله أعطاك به إجابة السؤال.

والله حينما جعل نفسه العدل المطلق والخير المطلق ومنحك الاختيار أراد أن يمنحك في رحلتك إليه المساعدة حينما حط من قدر ما يدفعك نحو طريق الشر، وحين وصمه لك وفضح لك طريقه وطرائقه.

نعم الله أخبرك الإجابة وظل دومًا يذكرك بها مع كل نبي ومع كل رسول ومع كل كتاب.

أعطاك ومنحك النفس التي تشاء وتقرر بحرية، والجسد الذي به تستطيع تنفيذ إرادتك، ونفخ فيك من روحه ليحيا لك هذا الجسد.

أرادك من البداية أن تفعل كما يفعل هو، أن تسمو مثلما هو، أن ترتقي مثلما هو، أصل الإيمان هو الذهاب نحو الله، هو أن تكون مثلما هو في صفاته.

الصلاة والزكاة والصوم وكل العبادات هي فرائض فرضها الله عليك لمساعدتك على الاختيار، لإرشادك في الطريق، أو لتهذيب نفسك، وظل يذكرك دائمًا مرة تلو الأخرى مع كل رسالة سماوية وكل كتاب، وكل شريعة، وكل نبي ورسول بعثهم إليك.

اقرأ جيدًا كل الكتب السماوية واستخرج منها الهدف والغاية.

أيًا كانت ديانتك أو معتقدك أو رؤيتك عن الله، قد تجد من يحدثك عن الأديان في المساجد والكنائس والمعابد وفي الطرقات، ستجد الواعظين والرهبان والمشايخ والقساوسة، ستجد الكثير في الخطب وفي دروس الآحاد، وهم مذكرين وناصحين وهم ورثة الأنبياء، سيخبرونك بكل ما أنزل الله في كتبه وعلى أنبيائه.

ولكنك لن تدرك الحقيقة بالكلمات فقط ولا بالفرائض فقط، ولن تدرك الإيمان والعدل والخير الذي أراده الله لك إلا وحدك.

حينما تحنو على مسكين، حينما تنصر مظلومًا أو تساعد محتاجًا، حينما توقظ ضميرك وتحسن عملك، حينما تبتسم في وجه الناس، وتكف عن الحقد والكراهية، حينما تتوقف عن الكذب أو الرياء، حينما تمارس العدل والحق والخير على نفسك وعلى كل الناس في حياتك، وحينما تدرك أنك أحوج الناس لممارسته.

لا تحتاج إلى عمامة أو قفطان أو صليب حتى تصل إلى الله، تحتاج فقط أن تمتلك قلبًا نقيًا حتى تسير في رحلة الحياة نحو الله، الرحلة ليست رحلة خلاص، فلست موصومًا بشيء حتى تُعتق منه، أنت من تَصِم نفسك وأنت من تعتقها وأنت من ترتقي بها، أنت ذلك

الثـالـوث وتقوده بإرادتك كما شئت. فكما قلت لك الله أعطاك السؤال والإجابة، أعطاك بعضًا من صفاته وروحًا منه، وأعطاك الإرادة والقدرة على الفعل مثلما هو وترك لك الحرية.

حتى تفعل مثلما هو، إن شئت تدنو، وإن شئت ترتقي نحو الإله.

أنت لن تصبح إلهًا لكنك حينما تقف أمام الله ستخبره أنك حينما أعطيتني الإرادة والاختيار والقدرة على تنفيذ اختياراتي، فعلت مثلما فعلت أنت ونجحت في الاختبار.

السرداب

سأطرح عليك سؤالًا أصعب ما فيه أنه سهل، من هو الشخص الذي لا تستطيع مواجهته؟

والمواجهة التي أقصدها ليست (عاركة في خمارة)، بل هي مواجهة فضح أسرارك.. مواجهة الحقائق المخفية والأسرار الدفينة.. فضح كل الظلم والنفاق والجرائم التي ارتكبتها في حياتك.. وكل الحسد والحقد والنميمة والسرقة والاحتيال والقتل والاغتصاب... وكل الكبائر.

حسنًا الإجابة باختصار هو أنت... وسامحني على أسلوبي الوقح، أنت الشخص الوحيد الذي لا تستطيع مواجهته؛ لأنك تعرف عنه كل شيء.

لا تقلق تستطيع إكمال القراءة فأنا لا أعرف عنك شيئًا.

لا تخجل مني، أنت لا تعرفني وقد لا تراني أبدًا ولكنك قد تستطيع مع كلماتي الشعور ببعض الراحة، فأنا أتحدث عن السرداب الذي يقبع بداخل أعماقك، أنت تملكه مثلما كلنا نملك واحدًا.

سرداب مظلم تقذف فيه دائمًا كل ذكرياتك التي تريد أن تمحوها، كل ما تخجل منه وكل ما تخشى تَذكره، ولكن لا تقلق لكل منا سردابه، لست وحدك صدقني، الله خلقنا هكذا، خطائين، فهون على نفسك.

ولكن ما رأيك أن نكشف بعض الحقائق، كم مرة سرقت؟ وهل السرقة نقود فقط؟

أنا لا أقصد النقود من الأساس...

هل سرقت نظرة إلى شيء حرمه الله، هل سرقت فكرة من أحد ما؟

هل سرقت جملة أو تعبيرًا ما ونسبته لنفسك؟

هل سرقت بطولة لغيرك في موقف ما ورويته عن نفسك؟

حسنًا لا أريد الإجابة، ولكن أخبرني أيضًا، كم مرة ظلمت أو حسدت أو كذبت أو قتلت أو اغتصبت... لو طبقت المعايير السابقة فليس كل شيء مادي، المعنوي أفظع.

وأنا كالعادة لا أريد منك إجابات، ولكن تلك البداية كانت ضرورية حتى وإن كانت وقحة.

ما أريد أن أخبرك به هو أن كل واحد منا أنا وأنت وسائر البشر قد اقترفنا كل هذه الآثام، ماديًا أحيانًا ومعنويًا دائمًا... قلت لك لا تخشى شيئًا أنا لا أعرفك ولا أراك الآن.

لا تصدقني القول بل اصدق نفسك ولا تخشى شيئًا.

طبيعتنا هكذا وتلك الجرائم نقترفها كل يوم تحت مختلف المسميات والمبررات، وفي وسط دوامة الحياة لا نتوقف إلا قليلًا لنقيّم أنفسنا في الصواب والخطأ، وغالبًا ما نتناسى ما اقترفناه لعدم احتياجنا لما ينغص علينا حياتنا من تأنيب الضمير.

إن أردت لفظًا أفضل في تقبل ذلك تستطيع أن تقول إن الشيطان قد أغواك في بضع مرات لفعل بعض الأفعال التي لا تحب أن تفعلها ولا تفتخر بها، بل تخبئها دائمًا عن كل الناس، والذي لا يفتخر بها ويحتقرها في أغلب الأحيان هو ذلك الشخص بداخلك ذو الطبيعة الملائكية والفطرة السليمة.

هل أراح ضميرك هذا الوصف؟

سأعترف لك.. لقد خدعتك الآن أو بالأصح لقد أظهرت لك خداعك لنفسك،

لقد تقبلت ببساطة شديدة وجود شخص داخلك ذي طبيعة ملائكية، وارتحت نفسيًا لأن الشيطان أغواك من خارجك.

لو كنت عكست الأوضاع في كلماتي وقلت لك إن شخصًا يعيش بداخلك ذي طبيعة شيطانية خبيثة وإن الملاك الذي أنقذك من خارجك، لكنت رفضت كلامي، واعتبرتني وقحًا ونعتني ببعض الصفات النابية.

حسنًا، سأتراجع عن وصفي لك في الحالتين.

الحقيقة يا صديقي للأسف هي أن الاثنين بداخلك طوال الوقت، نعم الحقيقة أن كلًا منا في داخله شيطان وقديس، وصراعهم أزلي لم ولن ينتهي وعقلك في حيرة بينهما.

لذلك فهو دائمًا ما يخدعك حتى ينصر أحدهم على الآخر، وخدعته تلك قديمة جدًا ومبتزلة لكنك دومًا تقع في الخدعة، تلك الخدعة اسمها المبرر.

عقلك دائمًا يصنع لك المبرر الأخلاقي لتقبل كل ما هو غير أخلاقي، ذلك المبرر الذي يعيد إليك دائمًا التوازن النفسي، فأنا وأنت لا نستطيع الحياة دون ذلك التوازن.

مظلومين.. مجروحين.. فقراء.. مضطرين... القائمة طويلة جدًا لكنها ضرورية لتبرير الأفعال، وبعد التبرير لا مكان للفعل نفسه سوى ذلك السرداب المظلم في أعماقك.

لا بد أن يُعتقل.. يُعدم.. ينتهي من الوجود، فوجوده وبقاؤه خطر كبير عليك وعلى توازنك النفسي.

ولكن ذلك التوازن النفسي الذي نحيا به هو للأسف في أغلب الأحيان زائف.

فاللص الذي يقتحم المنازل ليلًا للسرقة يخلق لنفسه مبرر ظلم المجتمع والأحوال الصعبة وغلاء المعيشة ويحظى بالتوازن النفسي، وفي كثير من الأحيان قد تجده من رواد المساجد.

والموظف المرتشي والمهمل يبرر لنفسه أفعاله بضيق ذات اليد وتدني راتبه في مواجهه الأعباء، ويعيش دائمًا أمام الناس

بشخصية ثانية لا تمت للمرتشي بصلة، ويربي أبناءه على الاقتداء به في التقوى والورع، وتضج مجالسه بأحاديث مكارم الأخلاق.

والعاشق فيما حرم االله يجد ملاذًا في المشاعر تارة وفي ظروفه المادية أو الاجتماعية التي تمنعه من تكوين بيت كريم تارة أخرى.

أما العشيقة، فضحية ظلم زوجها أو إهماله أو إجبارها على الزواج منه، ويبقى دائمًا صراع الشيطان والقديس وخديعة العقل وتبريره، وسيبقى طالما لا نستطيع المواجهة، وهي أقسى المواجهات وأصعبها على النفس كما قلت لك.. مواجهة الذات.

لأن كل منا متقمص لشخصية القديس ورافض لشخصية الشيطان، مثلما رفضتها أنت وامتعضت من خدعتي لك سابقًا.

على الرغم من أن كل الرفض والتجاهل والامتعاض لم يقتل ذلك الشيطان ولم يحرقه يومًا ولم يضعفه، فهو ماهر جدًا في التخفي والاستتار داخلك وفي كل الأوقات، لو أرهفت السمع لسمعت تلك الضحكة الشيطانية بعقلك،

نعم في كثير من الأحيان هو المتحكم.. هو المسيطر.

إن لم تكشفه، إن لم تفضحه سيظل هو المحرك الخفي، تمامًا مثل شخص يمارس عليك الابتزاز، يخدر عقلك ويسيطر عليه حتى يهزم القديس.

نعم هو ابتزاز حقير، فطالما خدع عقلك ووضع لك المبرر، فسيستطيع دومًا المضي في الطريق وخلق مبررات عديدة ومبنيه على المبرر الأول ويستمر في ابتزازك.

ففي يديه كشف الحقائق، وبيديه جعلك تكره نفسك إن أراد، قد يدفعك للانتحار في سبيل الخلاص.

ولسوء الحظ إن كشف لك الحقائق ستتمنى لو قتلته، لتفاجأ أنك أن أردت قتله قتلت نفسك معه.

وقد تفاجأ أيضًا أن ذلك القديس يهمس لك دائمًا لكن همساته خافتة وثقيلة ومؤلمة وبأنك دومًا ما تهرب منها بالمبررات.

ولكنك أن استسلمت إلى ألف مبرر سيظل الحرام حرامًا.

الوسيلة الوحيدة لديك للخلاص هي تجرع الدواء المر، كشف الحقائق كلها، وفتح السراديب وإحراق جميع الشياطين.

نعم، هو علاج صعب ومؤلم، هي معاناة كبيرة، ولكن لا تقلق ولا تضعف فإن للقديس الذي أهملته عصا سحرية كعصى موسى «**ولك فيها مآرب أخرى**»، تلك العصا السحرية اسمها التوبة.

كما قلت لك هوّن على نفسك فمثلما أن الله خلقنا خطائين خلقنا توابين، نعم تستطيع فتح السرداب ولا تخشَ شيئًا، قُل لشيطانك أنا تائب، اخرج له لسانك وأيقظ عقلك وحرره من قيوده.

وأحظى بالسلام وبالتوازن النفسي الحقيقي، أنا لست داعية ولا ادعي ذلك، ولكن الأمر بسيط، أيًا كان معتقدك وأيًا كانت ديانتك فإن الله واحد وكهذا نتوب وهكذا يتوب علينا.

في الإسلام التوبة إلى الله بعد مواجهة النفس نسميها جهاد النفس.

وفي المسيحية اعتراف تحظى بعده بالسكينة في الملكوت.

وفي اليهودية تنقيه النفس، وفي كل الأديان تطهير للوجدان.

صدقني أنا لم آتِ بشيء جديد ولا أضفت لك شيئًا.

أنا فقط رويت لك قصة الخير والشر، القديسين والشياطين؛ لأن بداخلنا وفي بقعة بعيدة مظلمة.. نور عظيم وظلام حالك.

ونحن من نوفر للشياطين كل المبررات للتخفي بداخلنا، والحق أقول لك لا تنخدع أبدًا إذا كنت رأيت الحقيقة، إياك أن تنخدع وأيضًا احذر جيدًا.

لا تخدعك السترات الأنيقة وربطات العنق.

لا تخدعك تلك الرداءات المحتشمة والنظرات الملائكية.

لا تخدعك تلك اللحية البيضاء الوقورة.

لا تنخدع بالكلمات ولا حتى بالأفعال.

لكل منا سردابه ولكل منا قديسه وشيطانه.

وإن قدر لك يومًا فتح أحد السراديب ستندهش.

كنت أود أن أكمل كلماتي ولكني مضطر أن اتركك فعندي ما يشغلني الآن.

فأنا ذاهب في رحلة طويلة إلى وسط البحر الهائج حتى أقذف فيه مفتاح سردابي اللعين.

حقًا كنت أود لو ظللت معي، فأنا خائف من البحر المظلم حين أقذف المفتاح.. وتدوي صوت ضحكة شيطانية.

القرد .. ولا القُرداتي

في الحقيقة إننا ظلمنا «**الخواجه دارون**» عندما تحدث عن نظرية التطور، وعلى مر سنوات طويلة اقتنعنا بأن نظرية أن (الإنسان أصله قرد) تخصه، والواقع أنه ليس «**الخواجه دارون**» على الإطلاق صاحب تلك النظرية، ولكنه «**خواجه تاني خالص**» اسمه «**فريدريك إنجلز**»، وقد دوّن هذه النظرية باسمه في كتاب اسمه (أصل العائلة).

ولكن الحقيقة المرّة أن المنطق الذي تفهمنا به تطور حياة الحصان ونسبناه إلى الفصيلة الخيلية القديمة، هو المنطق نفسه الذي تفهمنا به تطور الفيل ونسبناه إلى فصيلة الماموث، ونسبنا به التمساح إلى فصيلة الزواحف العملاقة، واستوعبنا به أن كل مخلوق على وجه الأرض قد صُنف في فصيلة من الرئيسيات والزواحف واللحميات والثدييات... وإلى آخره.

«**عدا الإنسان يا جدع**» (نيجي عنده ونقول لا، ميصحش ما هو مش معقول جدو الكبير يبقى قرد)، ولكن بأي منطق استثنينا أنفسنا من قانون الخلق إذا كان التشابه في كل شيء...

الهيكل العظمي والمشي على قدمين والتكوين الجسماني والعضلات والأجهزة الحيوية.. «**دا حتى الواد ابنك الشقي العفريت بتقول عليه زي القرد**»، مع العلم أنه لو فكرت قليلًا في السلوك والأفعال ستجد أن القرد أفضل كثيرًا من الإنسان.

بمقارنة بسيطة عن سلوك القرد والإنسان ستجده كأي حيوان يحكمه الشهوة، الأكل والشرب مثلًا فقط أضف إليهم منضدة وشوكة وسكينة وبعض السلطة والكاتشب، ولن تجد اختلافًا كبيرًا لكن الاختلاف لدى الإنسان أن الأكل والشرب أصبح له ثمن، وهذا ما أضاف شهوة جديدة اسمها المال، وتطور الإنسان بسرعة لمحاولة الحصول عليه بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة وبالسرقة والاحتيال وبعض الأوقات بالقتل.

شهوة ثانية هي الجنس يمارسها القرد كأي حيوان بطبيعيه لكن كعادة الإنسان أضاف لها الفجور والزنا، وأصبحت مثلما غيرها بالوسائل المشروعة وغير المشروعة.

القرد طبقًا لقانون الغابة يدخل في صراع على الزعامة أو على الأنثى، وقد يصل هذا الصراع أحيانًا إلى القتل.

والإنسان يدخل في صراعات على الأرض والثروات والنفط والغاز والذهب والمياه بل والحريات أيضًا، ويتطور سريعًا ويقتل ويذبح ويبيد ويحارب ويرهب إخوانه بكل الطرق والوسائل اللي أطلقنا عليها خطأ صفة (غير الآدمية)، ولكنها للأسف ليس لها صفة أخرى سوى أنها (الآدمية).

فالحيوانات لم تفعل هذا في أي يوم من الأيام من بدايه خلقها، وحتى الآن.....! بالتأكيد إن ما فهمته من كلامي أنني مقتنع بأن الإنسان أصله قرد، لكن ليس هذا ما أريد إثباته ولا ما أريد نفيه، «**أنا أريد أن أفكر معك قليلًا.. بره الصندوق**».

لكن أولًا قد نحتاج لسرد بعض الحقائق حتى نستطيع الرؤية بشكل أوضح، أقدم الحفريات التي عُثر عليها لهياكل عظمية متطورة عن القرد الحالي والتي تشير إلى الإنسان البدائي كان عمرها حوالي مليوني سنة.

ومرورًا بالعديد من الاكتشافات الأحدث منها من مئات آلاف السنين ظهر تطور شكل الهيكل والجمجمة في شتى بقاع الأرض.

فعلًا، لقد عاش الإنسان البدائي الذي كان أقرب إلى القرد في سلوكه وحياته، وأقرب إلى الإنسان في شكله وهيكله، منذ أكثر من مليوني سنة وتطورت هيئته مع مرور السنين.

والمنطق يصل بنا لشكل الإنسان الحالي... أنا وأنت.

لكن يظل السؤال، من المليوني سنة وجود وتطور لهذا الكائن الإنساني البدائي نجد أن أقدم آثار حضارة ومدنية ظهرت للإنسان لا تتخطى ٢٠ ألف سنة، بحساب بسيط سنجد أن ١٪ من تاريخ تواجد البشر بصورتهم البدائية كان بها إدراك وتعلم وحياة مدنية وحضارة إلى حد ما.

وهذا بالطبع منافٍ للمنطق، لو فرضنا قدرة الإنسان على التعليم والتطور منذ ما يقرب من مليوني سنة.

ليس من المنطقي أن يضيع من كل هذا الزمن قرابة ٩٩٪ منه دون تعلم حوالي ألف ألفين سنة إلا ٢٠ ألف بدون تعليم أو تطور حتى يصل للحياة المدنية البدائية فجأة بعد كل هذه السنين والأجيال دون تطور.

حقيقة ثانية، في التوراة (العهد القديم) كان المتبع في بداية الأسفار سرد أسماء الأنبياء وأسلافهم، بداية من آدم وحتى إدريس ونوح وصولًا لأنبياء بني إسرائيل.

ولو دققت قليلًا في عدد الأجيال مع وضعك في الاعتبار أعمارهم التي كانت أطول من أعمارنا كثيرًا، قد تستطيع حساب عدد سنين مشابه أو أطول قليلًا من عشرين ألف سنة التي هي عمر المدنية والحضارة.

ثانيًا وهو الأهم في رحلتنا خارج الصندوق، إننا دائمًا ما نصطدم بالدين الذي أخبرنا عن قصة خلق آدم وحواء في الجنة وليس في الأرض، وهذا ما ظل دائمًا السند الكبير على نفي كون الإنسان ينتمي لفصيلة القردة العليا، والحقيقة إنه لا يوجد تعارض نهائيًا بين القصتين أو الفرضيتين؛ لأننا نتكلم عن منطق مختلف قليلًا عما ألفت سماعه ودراسته.

نتكلم عن الإدراك، الإدراك هو ما خلق في الجنة بداخل آدم، وهو الحدث العظيم، أما اللحم والدم والعظم فكان موجودًا منذ أكثر من مليوني سنة، وهذه هي إجابة السؤال.

ومثل كل شيء خلق بالأمر الإلهي «**كن فيكون**»، ومثلما تحدثنا من قبل فكل شيء خلق في الكون لم يوجد إلا بعدما مر الوقت اللازم لإيجاده، ومر بكل مراحل التجهيز والتطور والتأهيل.

ومثلما تحدثنا من قبل أن (كن فيكون)، هو اللفظ الذي اختاره الله بنفسه، كان من الممكن أن يكون اللفظ (كن فيكن) في التو واللحظة لكن ببساطة الله أراد أن يعلمنا أن (كن فيكون) تفيد القدرة على الحدث ولا تفيد سرعة حدوث الحدث.

لغويًا ومنطقيًا، كل شيء خلق ووجد ويحدث حولنا في الكون والحياة نستطيع منه إدراك قانون الخلق بوضوح شديد، ليس انتقاصًا من القدرة الإلهية بالطبع ـحاشا للهـ لكن هذا هو ما اختاره الله لقانون حياتنا، وهذا ما أراد الله أن نتأمله ونفهمه وندرسه.

حتى اللفظ الدارج «**إن الدنيا اتخلقت في ست أيام**».

ومن سفر التكوين في العهد القديم أيضًا نستطيع إدراك أن خلق الدنيا كان في ستة أيام لفظية، ليس بمعنى ستة أيام من أيامنا؛ لأن أبسط قواعد العقل توضح لنا أن اليوم الذي هو دوران الأرض دورة كاملة حول نفسها لم يكن بالطبع موجود في وقت بداية الخلق وقبل خلق الأرض والشمس والقمر وحساب الوقت بمليارات السنين.

ولأن أحداث خلق الكون من الانفجار العظيم وتكوين النجوم والكواكب والمجرات حدث في ١٣,٨ مليار سنة.

كانت هي ستة أيام، أو بالأصح هي ستة من مراحل أطوار الخلق أو مراحل التكوين.

تستطيع مراجعة العديد من الكتب في هذه المراحل بداية من الانفجار العظيم لتكون الدخان ثم المادة والفراغ وتكتل المواد وتكون الأجرام والنجوم والكواكب والغازات والمياه إلى بداية ظهور الخلايا الأولية والحياة كما نعرفها.

ولكن أطلق عليها الله «**أيامًا**»؛ **لأن** اليوم هو الشيء الذي له بداية ونهاية واضحة وزمنية في تخيلنا وإدراكنا، ولكي يفرق بينها ويخبرنا بتلك المعلومة بمحددات عقلنا وبالطريقة التي نستطيع استيعابها.

حسنًا، نعود لخلق آدم ونحاول بهذا المنطق نفسه فهم الصورة كاملة، سنجد أنه كان لا بد أن تتواجد الفصيلة العليا من الخلق الأكثر ذكاء، والفصيلة التي هيكلها الجسماني يؤهلها للتطور الأعلى، الذي من تطورها تصبح مؤهلة لبداية الإدراك والحياة التي ستسود بها على سائر المخلوقات.

هذا التحضير هو الذي استغرق مليوني سنة إلا قليلًا.

ثم كان الحدث الأكبر والأعظم والأهم خلق آدم على الهيئة الأسمى من المخلوقات الأرضية، وأهمية الحدث لم تكن خلق الجسد على الإطلاق؛ لأنه كان موجودًا من الأساس في آلاف الكائنات على الأرض.

أهمية الحدث تكمن في خلق الكائن المُدرك المستنير، أول إنسان مدرك في الفصيلة الكبيرة الراقية التي عاشت مليوني سنة بدون إدراك وبطبيعة حيوانية، إن جاز التعبير.

نستطيع الآن أن نراجع ونطابق القصة ببساطة مع أحداث خلق آدم حتى نناظرها ونراها بطريقة مختلفة.

بداية من هذا الخلق باللفظ القرآني (اصطفى الله آدم)، ولفظ اصطفاه يدل على أنه اختاره من وسط ما يشبهه وليس خلقًا جديدًا، وسؤال الملائكة (أتجعل من يفسد فيها ويسفك الدماء)، الملائكة بالطبع لا يعلمون الغيب لكن يعلمون ما رأوه من الإنسان البدائي الذي عاش ملايين السنين على الأرض، تحكمه شهواته فقط دون إدراك.

وعندما أخبرنا الله أنه قد علم آدم الأسماء كلها كان معنى هذا هو إشارة إلى أن هذا الكائن المخلوق كان يتوفر لديه الإدراك الذي يؤهله لتلقي العلم: الإدراك الذي يؤهله لمكانته التي خلق من أجلها.

والأسماء بالطبع ليست مرادف «**الأسامي**»، ليست «**حسن وحسنين**»، علم آدم الأسماء تعني أنه أدرك وأن عقله قد استوعب وتعلم الصفات وتلقى الوصايا والقوانين والأخلاق وفكر وقارن واختار، الله يخبرنا ببلاغة أن المخلوق الجديد امتلك عقلًا يستوعب العلم، وبهذا أصبح مختلفًا عن أقرانه الذين عاشوا على الأرض ملايين السنين وتطوروا في هيئتهم تلك تمهيدًا للخلق الجديد.

وفي السياق نفسه ننتقل إلى الحديث عن حمل الأمانة، وإن هذا المخلوق البسيط كان مختلفًا تمامًا عن أقرانه الذين عاشوا لسنوات طويلة دون إدراك ولا حمل أمانة واختيار ولا ثواب وعقاب، وهذا هو ما يوضح لنا السبب في حسد وغيرة وحقد الشيطان منه، وقوله

إنه مخلوق أفضل منه، لأنه سبق وأن رأى أقرانه على الأرض وتعامل معه بالمنطق نفسه.

ولم يدرك الفارق ولم يستوعب الحدث مثل الملائكة في بادئ الأمر حتى أخبرهم الله «**إني أعلم ما لا تعلمون**».

ولو استكملنا الرؤية في ذلك السياق سنعلم جيدًا أن الشيطان عندما وسوس إلى آدم وحواء في الجنة لأكل التفاحة، وأنهم بعد أن أكلوا منها «**بدت لهما سوءاتهما فطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة**»، نستطيع الآن إدراك رمزية الحدث.

إنه نوع جديد من الإدراك ذلك الذي حدث لهم حينها، هو إدراك الشهوة التي تمثلت في الجوع واشتهاء الثمرة في بادئ الأمر، ثم إدراك شهوة الجنس، وكأي كائن مدرك علموا أنها عورة يجب سترها؛ لأن سوءاتهما لم تكن في يوم مخفية مثل كل الكائنات التي تعيش في الحياة، فلن تجد أي حيوان يرى أن سوءته عورة يحتاج سترها، لإنه لا يوجد منهم من يمتلك هذا الإدراك، بل تفاجأ أنت نفسك بأنك ترى كلبك أو قطتك في كل يوم ولا يلفت انتباهك عدم سترهم لسوءاتهم ولا يشغل بالك كثيرًا، ذلك لأنك لم تجد يومًا قطتك أو كلبك يحدثك أو يتناقش معك في أحد الأمور!

لم تجده يومًا ما مدرك أو عاقل، فلم تهتم بستر عورته!

ولكن آدم وحواء بعد أكل التفاحة امتلكا شيئًا جديدًا لم يدركاه من قبل، كان إدراك هذه الشهوة وإدراك أنها شيء لا بد من ستره، أو إنها عورة لا تناسب التحضر والمدنية التي امتلكاها حين امتلكا الإدراك.

وكان هذا من أوائل الأشياء التي خطا بها الإنسان على طريق المدنية؛ ولذلك فإن نزول آدم وحواء إلى الأرض كان دائمًا شيء مُحتم ومُقدر للحياة التي نشأت وتطورت في ملايين السنين على الأرض.

بمعنى أبسط إن وجودهم على الجنة كان مؤقتًا لكي يهب الله هذا الكائن الإدراك الذي يؤهله لحمل الأمانة التي حملها؛ ومن ثمَّ يمارس ذلك في مكان تواجده الأصلي ويعمره ويبدأ فيه الحياة بتطبيق شريعة الله.

ولذلك فقد خُلق من الطين واللحم والدم مثل باقي المخلوقات التي تعد أصنافها بالملايين، وأجسادها تتقيد بالشهوات وبمحددات الحياة من الاحتياج إلى التنفس والأكل والشرب، ومتقيدة بقوانين الجاذبية والزمن، وخُلق من مادة الأرض نفسها التي يبلى ويتحلل فيها، ولم يخلق أبدًا للحياه في الجنة.

الحقيقة إن الأدلة واضحة جدًا وصريحة لكننا دائمًا نتغاضى عنها.

أما قصة خلق آدم فكان لا بد لها أن تتم مثل كل المخلوقات الأخرى، وكان لا بد أن تتم وفق قواعد الخلق مثله مثل كل شيء خُلق حتى يتحقق الوعد الإلهي والأمر الإلهي (كن فيكون) بكل مراحله الزمنية، وتمر عبر ملايين السنين بمراحل التطور نفسها.

ومن هنا قد نستطيع مثلًا أن نفهم قصة غضب الله على بني إسرائيل وتحويلهم إلى (قردة خاسئين)، تستطيع رؤية الرمز، لم يصبحوا قردة بمعنى «**النسانيس**» على الشجر ولكن برمزية الحدث،

الله قد سلبهم الإدراك فعادوا إلى الأصل، عادت طبيعتهم مليوني سنة إلى الخلف، كالقردة الأولى أو كبداية الفصيلة، حُرموا من التطور والإدراك فتحولوا إلى الشخص نفسه الذي كانوا عليه ولكن بطبيعته الحيوانية الأولية، وصار سلوكهم وتصرفاتهم حيوانية.

ذهب عقلهم جميعًا بكل الخبرات والفهم والإدراك والرقي والخجل من العورات والنظام المجتمعي والمدنية والحضارة، الله سلبهم النفس المدركة فتحولوا إلى قردة دون إدراك، وعاد سلوكهم لسلوك جميع الحيوانات في الغرائز والشهوات.

وبلاغه القرآن حين وصفهم بالقردة الخاسئين هو لفظ عبقري من البلاغة، فمعنى خسأ «**هو من أصابه الذل أو هو من تدنى في المرتبة عن أصله**»، بالمنطق نفسه أستطيع استيعاب وصفهم في موقع آخر بالخنازير، فبعد ذهاب الإدراك والتحول للطبيعة الحيوانية اتبعوا سلوك الخنازير الحيواني في الحياة في الوحل والروث والاقتيات بها، وهو العقاب الإلهي الذي نزع منهم صفه الإدراك الإنساني لرفضهم حمل الأمانة، فنالوا العقاب على هيئة نزع صفات الآدمية المستحقة لحمل الأمانة، وهوى بهم ظلمهم إلى الروث.

أصدقك القول إن كل ما أخبرك به كان تقبله دائمًا معضلة في حياتي بتلك الطريقة التي طالما روي بها، والتي لم أستسغها يومًا لتعارضها مع كل ما رأيته من خلق الله وقانون الحياة الذي وضعه الله في الدنيا، ولم تهدأ نفسي يومًا لتلك الروايات الصماء الجامدة، التي إما أن أقبلها دون تفكير أو أوصم بالكفر والهرطقة.

في النهاية، فإن من منطلق هذا الإدراك الذي وهبنا الله إياه فإننا قد حملنا هذه الأمانة العظيمة، أمانة الاختيار الحر بين الصواب والخطأ، وأمانة التفكير المنطقي والاستقراء ومقارنة ما حولنا من الخلق وطبيعة خلق الله في كل ما في الكون.

وبتطابق جميع مراحل الخلق لكل الكائنات لا نستطيع مهما كذبنا أو أغفلنا طمس الحقائق، نعم خلق الله الكائنات في تنوع، وتطورت تلك الكائنات على مرور ملايين السنين، وكما تطورت كل الفصائل تطورت فصيلتنا، وكانت تلك الفصيلة وتطورها ضروريًا لتواجد هذا الكائن البدائي الذي تشابه معنا حتى يُمنح صفة الفهم والإدراك، ولكننا دائمًا ما نرفض تلك الحقيقة الواضحة.

نعم، مختلفون نحن عما يسمى بالإنسان البدائي وعن القردة العليا، لكن لا نستطيع أن ندفن رؤوسنا في الرمال ونتغاضى عن كل التشابه الذي يقترب من التطابق مع أصل هذا الكائن، نحن لسنا قردة ولكننا لسنا منفصلين عنهم، ولم يخلق آدم إلا بعد تطور هذا الجنس لملايين السنين، ولم يخلق آدم بهيئة منفردة مختلفة ولكننا نخشى البوح بذلك.

والآن، أجبني على السؤال: إلى من ننتمي في جذورنا.. القرد ولا القرداتي؟

باب العيون

تخيل أنك تفتح باب بيتك في يوم ما فتجد ١٠٠٠ شخص يتزاحم أمام الباب وعيونهم «**تبحلق**» فيك، مع اختلاف النظرات والاهتمامات، بعض النظرات تنم عن طيبة ولمسة حنونة وحب ومَعزة، وبعضها اكتست ملامح جامدة لا تستطيع فهم مغزاها، والبعض الآخر اكتست ملامحها بنظرات البُغض والكراهية، وهنا وهناك بعض نظرات متوارية تنبض ملامحها بالحقد والحسد.

عيون تنظر إلى وجهك وملامحك وعيون تنظر إلى جسدك وإلى ملابسك وماركاتها، عيون لا تشغلها أنت ونظراتهم تتفحص جيدًا ما ظهر من أثاث بيتك وما تأكل وتركت بقاياه على المنضدة، وعيون تحسب سريعًا قيمة ما ترتديه وما تملكه.

ولكنك سرعان ما ابتسمت لكل العيون وألقيت التحية وأغلقت الباب، ثم استرقت النظر من ثقب بابك برهة من الزمن لتستمع لبعض الضحكات وكلمات الاستحسان، وكم أسعدك هذا، لكن من ثقب الباب ومن خلف الجدار لم تستطيع الرؤية جيدًا فأرحت نفسك وخلدت إلى النوم.

إلى هنا انتهت قصتي الصغيرة عنك، أو هنا انتهت قصتي عن صورتك التي شاركتها على الفيسبوك، ذلك التطبيق الشيطاني، ذلك الجاسوس الخفي الذي أدخلته حياتك بإرادتك ونجح في تجنيدك لتصبح تحت إمرته، وأجبرك على إفشاء جميع الأسرار.

ومن فرط ذكائه أجبرك على ذلك باختيارك، وأعطى لك مطلق الحرية، وبمنتهى الخبث والدهاء صنع لك الشهوة، أو لنقل إنه وضع يدك عليها، شهوة التقدير، كل منا يسعى للتقدير والإطراء.

أنا اكتب هذا الكلام وانتظر منك أن تقول لي أنت رائع، مُبدع، كذلك أنت تحب جدًا أن يُعجب الناس بكلامك، بآرائك، وبصورتك، بحس الدعابة الذي تمتلكه وخفة الظل، وبعمق أفكارك وخواطرك.

وببطء وبنعومة شديدة تستيقظ يومًا لتجد نفسك قد أصبحت أسيرًا لمتابعة عدد علامات الإعجاب والقلوب والتعليقات التي تسعد قلبك وتمنحك النشوة المطلوبة.

بل إنك تتمادى أكثر، فتصبح مع مرور الوقت والتعود والانخراط في الشهوة مثل آلة ميكانيكية على هيئة إصبع إبهام يتحرك تلقائيًا من الأسفل إلى الأعلى على شاشة الهاتف لتتابع آلاف الصور والمنشورات، حتى تجد ضالتك المنشودة في حكمة أو صورة أو نكتة، تجد ما تعيد نشره، وبمجرد إعاده نشره تعيد الكرَّة وتتجمد في مكانك، مثل التائة في عاصفة ثلجية في القطب الشمالي.

في انتظار من يعجب بمنشورك وتبدأ رحلة الانتظار لأول علامة إعجاب وأول تعليق، ومن ثم الذي يليه والذي يلي الذي يليه، ومن هنا وهناك حتى يمر عليه بعض الوقت ويفتر الإعجاب وتقل احتمالات مشاهدته، فتعود شهوة التقدير للتوهج لديك، وتتولد الرغبة فتعيد الكرّة وتبدأ من جديد، رحلة البحث عن منشور جديد يعود بك إلى حالة ترقب جديدة.

وعلى الجانب الآخر من هذا الفضاء الإنترنتي ستجد الملايين بل المليارات يشاركونك تلك الأعراض نفسها، منهم بضع مئات من أصدقاء صفحتك، هؤلاء «**المبحلقين**» فيك عندما فتحت الباب، هل تتذكر قصتي الصغيرة عنك.

ولكن هل سألت نفسك من منهم أعُجب حقًا بما كتبت، وكم منهم لم يهتم بصورتك قدر اهتمامه بقيمة القميص التي ترتديه، والساعة التي تزين معصمك، والنظارة الشمسية على عينيك.

أو من رأى الابتسام على وجهك، وكم أوحيت له ابتسامتك البسيطة بأنك تعيش حياة بلا مشاكل ولا ضغوط، وفي سعادة تامة.

أو من نظر إليك نظرة حاقدة أو حاسدة أو حتى نظرة غير بريئة.

لا تقل لي إن كل هذا كان بغير رضاك أو كامل إرادتك الحرة.

هل تعتقد أن قصتي انتهت لهذا الحد، لا عندي لك قصة أخرى أكثر وقاحة فأنا أعلم عنك الكثير! أعلم عنك ما تخفيه جيدًا...

عن قصة بداية توجهك لإدمان المخدرات عندما كنت تعاني من ضغوط الحياة، وعندما مررت بأزمة طاحنة، وعندما خاب ظنك، وعندما أسأت الفهم، وحتى عندما أحسنت الفهم!

حقًا، كانت أول مرة تتناول فيها المخدرات، ولكن الحق يقال إنها قد أراحتك من المتاعب وأخرجت مع الأنفاس التنهدات والآهات، وهدأت نفسك وزال منك الضغط العصبي.

لقد أحسست أخيرًا ربما بهدوء زائف، لقد تنفست الصعداء، ولم تكن المرة الأولى سوى البداية ثم تبعتها بثانية وثالثة وعاشرة، لقد أدمنت يا صديقي هذا الإحساس.

لقد خدعتك أيضًا، لم أكن أقصد الكوكايين لكنها قصة ذلك الشيطان الذي أوقعك في إدمان تأثيره.

تلك كانت قصة صفحتك على موقع التواصل ومنشوراتك التي شاركتها في كل لحظات الغضب والحزن وخيبه الأمل.

تلك المخدرات التي تعاطيتها، لقد تركت عالم الواقع ولم تجد ولم تسعَ لإيجاد حل لمشاكلك وعقباتك وآلامك، لكنك وجدت المخدر وأدمنته حتى غبت عن الوعي.

وتحت تأثير المخدر الذي صنعته بيدك، والذي وفر لك الإحساس الزائف بالراحة والهدوء بل والانتصار أحيانًا.

ومثل سوق المخدرات بالباطنية وجدت التنوع في أصناف المخدرات.

من منشورات الإسقاط بالكلمات والمعاني على من يعنيه الأمر أو بالبلدي (اللي على راسه بطحة) إلى منشورات الأقوال المأثورة والحكم، هي لعبة نفسية قذرة تمنحك الرضا والسكينة الزائفة، لكنها للأسف تفقدك الدافع على تغيير الوضع الذي تكرهه وتهرب

منه؛ لأنك تكون فعليًا قد غيرته نفسيًا داخل أعماقك دون أن تدري، وذلك يفقدك الدافع للفعل الحقيقي، يسلبك العزيمة، لتفاجأ بعد أيام أن مشاكلك تزداد، وتكتشف أنك قد حللتها فقط في الواقع الافتراضي الذي لا يختلف كثيرًا عن عالم الأحلام، وتفاجأ أنك استيقظت يومًا ما لتجدها كما هي، إن لم تكن أسوء.

وربما ظلمت وتجنيت على الكثيرين بكلامك لسهولة نشره بضغطة زر، أو لأنك تجنبت عناء المناقشة وعناء سماع الرأي الآخر، وحاكمت وحكمت بمنتهى السهولة، أتعلم ربما جنبك ذلك خوف المواجهة.

وجنبك أيضًا خوفك الشديد من أن تكن أنت المخطئ إن فقط سمعت رأي الطرف الآخر وظروفه.

ربما أراح ذلك ضميرك وأسكته وأعاد لك اتزانك النفسي الزائف، ومثلما المخدرات قد تسرق عمرك وعملك وإنجازاتك وحتى عائلتك وأصدقائك...، فهذه الشاشة الصغيرة تفعل، بل إنها تسرق ساعات حياتك وأوقاتك السعيدة وانطلاقك وأحاسيسك، وتصنع منك شخصًا افتراضيًا يعيش حياته ويكوّن قناعاته وآراءه وأهميته في الحياة ونجاحاته وطموحاته في العالم الافتراضي،

وتفصلك تمامًا عن الواقع الحقيقي.

والآن أخبرني كيف يراك الناس، هل تعتقد أنهم يرونك من خلال ما كتبت أو ما تنشر على صفحتك الافتراضية.

هل سمعت من قبل عن (مصمصة الشفايف).

هل تعتقد أن صورتك هي حقًا ما ترسمها في عيون الآخرين.. حكيمًا.. متدينًا.. قديسًا.. رقيق القلب.. خفيف الظل... إلخ، أم أن الناس تحكم عليك بما يريدون أن يروا.

اعكس الأدوار وعاود التفكير، وقد يصدمك ما ترى!

وأخبرني عن صديقك المنافق الكبير وعن منشوراته الدينية العظيمة، وأخبرني عن صديقك المرتشي الذي يتحدث عن الشرف، أو عن صديقتك التي تبغض زوجها وتملأ صفحتها بصوره وبهداياه وبالسعادة التي يمنحها إياها.

هكذا يراك الناس يا صديقي، مع كل أسفي الشديد، لا بدّ أن أخبرك أن كل محاولاتك في رسم صورتك لا تجدي نفعًا أبدًا عند الآخرين، الأفضل لك أن توفر مجهودك وتستغله في أشياء حقيقية تستطيع لمسها واستنشاقها، واخرج بمنتهى السرعة من داخل هذه الشاشة، اهرب من هذا العالم.

والآن، عندي لك نصيحتان:

الأولى إن أردت أن تشارك أصدقاءك على مواقع التواصل الاجتماعي صورتك، وأنت ممدد على كرسي بحر على أحد الشواطئ وتغير حالتك إلكترونيًا إلى (يشعر بالراحة)؛ فنصيحتي لك اقذف فورًا بهاتفك في وسط البحر واستنشق هواء الشاطئ المشبع برائحة اليود، والمس دفء الشمس بجسدك، واشعر بالرمال الباردة تحت قدميك.. باختصار استمتع بالحياة الحقيقية.

ونصيحتي الثانية: اترك ذلك الهاتف نهائيًا.. أجبره على العودة لوظيفته الأساسية.. اقرا كتابًا من صفحات وأوراق.. اقرأ حتى تشعر بالنعاس ويسقط الكتاب من يديك، وحتى تصطبغ أصابعك بالسواد من حبر الكتب، ولأكون أكثر دقة اقرأ كتابي هذا وانصح به أصدقاءك، فهكذا أستطيع أن أبيعه وأجني المال حتى أستطيع شراء هاتف جديد!

آلة الزمن

كم مرة حلمت بركوب آلة الزمن والسفر عبر الأزمان.

هل أردت العودة للماضي وذكرياته أم الذهاب إلى المستقبل وخياله واختراعاته؟

ولكن هل فكرت يومًا في الزمن وما يمثله لنا.

الزمن هو حياتك، ماضيك ومستقبلك، ذكرياتك وأحلامك، ولكني كالعادة أبحث عن غير المألوف وأتسائل: ترى هل يمر الزمن علينا بالطريقة نفسها أم يشعر كل منا بشيء مختلف؟

فعلى سبيل المثال، صديقي الرجل أخبرنِي عن مدة الساعة التي جلست فيها بأحد المحلات في انتظار أن تنتهي زوجتك من شراء فستان، وعن الساعة نفسها التي قضيتها مع أصدقائك على القهوة تتذكرون ذكريات الجامعة والشباب.. أي الساعتين كانت أطول؟

مع إن في كلا الحالتين دار عقرب الساعات دورة واحدة بالسرعة نفسها ولم يتغير معدل دورانه.

وأخبرني أيضًا.. هل سافرت في رحلة لمدة أسبوع أو أكثر إلى أحد المصايف بلا أي التزامات ولا عمل وبذهن صافٍ.. وأخبرني عن أسبوع عمل «**تقفيل السنة المالية**»... أيهما كان أطول؟

وأخبرني عن أوقات السعادة في حياتك، كيف مرت سريعة أم بطيئة؟

ليست نسبية أينشتاين ما أقصده، بل نسبية إحساسنا بالوقت، ذلك المخلوق الغامض المجهول المدعو الزمن.

لغز كبير جدًا وسنحاول حله أو «**نلخبطه زيادة**».

الزمن في حياتنا على الأرض وفي هذا الكون وبقوانينه الفيزيائية هو أحد أضلاع الإدراك، بدونه لا يكتمل إدراكنا للحياة؛ ولذلك فإنه بعد انقضائه لا تستطيع حسابه.

إن كنت في عمر الأربعين مثلًا وعاودتك ذكريات الطفولة وذكريات الشباب وذكريات أول طفل لك وذكريات ترقيتك في العمل في السنة الماضية، ستجد أن كلهم على السواء لا تستطيع التفرقة بينهم من حيث عامل الزمن، بل إنك تستطيع تذكرهم دون ترتيب الأقدم أو الأحدث.

وفي لمح البصر.. لكن الشيء الوحيد الذي لن تستطيع فعله هو التعديل! مهما حاولت التغيير أو الإضافة أو الحذف.. مهما كانت محاولتك خفية أو صغيرة وتافهة، فإن عقلك سيرفضها فورًا ويدمرها لك.

كأنك تقلب في «**ألبوم صور**».. عندما تلتقط الصورة يتجمد كل شيء فيها، كما أن عقلك لا يعمل بنظرية «**الفوتوشوب**».. هل تعلم السبب؟

لأنهم ذكرى.. انتهى عندهم عامل الزمن.. فقدوا أحد الأضلاع اللازمة للإدراك؛ لذلك فقدوا إمكانية التغيير أو التعديل.. تجمدوا.

ولكن على العكس مستقبلك لا يزال يمتلك ضلع الزمن، تستطيع أن تتخيل مقابلتك الهامة للوظيفة باكرًا، وترسم لها سيناريوًا وترد على أسئلة المدير، بل وتغير الرد إذا لم يعجبك، وتعدل وتضيف وتحذف مرارًا وتكرارًا، وتحذف المشهد كله وتعيد تصويره من جديد بسيناريو مختلف، وتستطيع أن تختار لون البدلة التي سترتديها، وتعود لتختار لونًا جديدًا إذا لم يعجبك، وتختار عطرًا مختلفًا.. وتعيش المشهد مرة ثانية.

قبل أن يحدث.. أنت تعلم السبب الآن؛ لأنك لا تزال تملك عامل الزمن في عناصر الإدراك، ولأنك أنت من تكوّن المشهد في كل مرة باختيارك حتى يحدث فعلًا فتفقد تلك القدرة فورًا! وتلك نسبية أخرى.

ما رأيك في التعمق أكثر قليلًا.

هل تعلم مثلًا أن عمر الذبابة المتوسط بضعة أيام وعمر البعوضة (الناموسة) المتوسط بضعه أشهر.

هل تعتقد أنهم يعيشون أعمارهم مثلما تعيش عمرك بالمعيار نفسه؟

هل تعلم أن للذبابة أكثر من ١٠٠ عين في رأسها!

تجمع هذه العيون المناظر التي تراها وترتبها في تسلسل للرؤية، بمعنى أوضح أن ما تراه أنت في «**كادر**» تصوير واحد تراه هي في مائة؛ أي أن تلك الذبابة تستطيع إنتاج فيلم كامل حين تخطف أنت نظرة عابرة، وإن نظرتك العابرة السريعة تستطيع هي رؤيتها بمعيار زمني يساوي مائة ضعف ما تعيشه أنت!

هي تحيا بالتصوير البطيء إن جاز التعبير، ولكن في الزمن نفسه الذي تحيا أنت فيه بسرعة التصوير الطبيعي «**حاجة تجنن دي شويه أنا معاك**»، لكن تخيل أن حياتك وذكرياتك تعرض أمامك بتصوير بطيء منذ ميلادك وحتى الآن.

قد تحتاج إلى ألف سنة لتشاهد حياتك مرة أخرى تعرض أمامك بالتصوير البطيء.

هل أصابك الاندهاش.. لقد لخص أينشتاين ذلك في نظريته، حين فرض أن طفلين بعمر السادسة ركب أحدهما صاروخًا فضائيًا يطير بسرعة الضوء لمدة سنة، واستغرق دورانه هذا بمعيار الأرض ستون دورة حول الشمس، فعاد الطفل وعمره سبع سنوات ليجد صديقه وقد أصبح في السادسة والستين من عمره.

نعم.. هي لعبة الزمن.

الزمن كما قلت هو أحد أضلاع المعادلة الإدراكية لنا.. مكمل لقوانين العقل.. هنا على الأرض وفي حياتنا اليومية.

ولكن في الفضاء مثلا، فالأمر يختلف في الكثير من الأحيان، فالثقوب السوداء مثلًا تجذب الزمن وتسارعه وتبطئه وتبتلعه.

ولكن ما الزمن على وجه التحديد.

الزمن ـ كما نعرفه ـ هو ثوانٍ ودقائق وساعات.. أيام وشهور وسنوات.. كل دورة للأرض حول نفسها يوم.. وكل دورة للأرض حول الشمس سنة.

فإذا تركنا الأرض والشمس وسافرنا لكوكب آخر أو لمجرات وشموس أخرى لا بدّ سيختلف الزمن، بالتأكيد سيتغير معياره.

ولن تصلح ساعتك في قياسه، فقد يبدأ يوم وينتهي وساعتك لم تتجاوز بضع دقائق، وقد تنتهي بطارية ساعتك ويومك لم تغرب شموسه.

ولن يصبح للساعات معنى بل يجب عليك اختراع نظام حسابي جديد لمعرفه الوقت هناك.

وبالتاكيد سيتغير تقديرك للزمن ويتغير معه العديد من قوانين حياتك.

الجاذبيه مثلًا.. هو أمر مسلم به، هي قوة تؤثر فيك، وينتج عنها معرفة أن وزنك ٧٠ كيلو جرامًا على سبيل المثال، فإن تغيرت القواعد وأصبح وزنك ٧٠ جرامًا ووزن سيارتك لا يتجاوز الكيلوجرام تستطيع السفر مسافات كنت تقطعها في يوم كامل، في عدة دقائق بمعيار الزمن نفسه.

وتستطيع القفز بقدميك مسافة كيلومترات في بضع ثوانٍ بمعيار الزمن نفسه، ولكن الفارق أنك تستطيع السفر مثلًا من القاهرة إلى الإسكندرية في بضع دقائق.

إن ما أخبرك به هو أمر مشابه لكونك تصمم لعبة «**فيديوجيم**»، تستطيع وضع قوانين اللعبة، وتستطيع برمجة الشخصية التي تلعب بها ليستجيب للطيران عند الضغط على زر ما، ويستجيب للقفز من فوق ناطحة سحاب في لحظة، وتستطيع أن تحدد له السرعة مليون كيلومتر في الساعة.

وإن أعدت برمجته سيستجيب أيضًا لأن يصبح بطيئًا كالسلحفاة، طالما وضعت له قانون اللعبة فلن يستطيع تغييرها، سيلعب دائمًا رغمًا عنه وفقًا للقواعد التي وضعتها له.

ولأنك خلقت بهذا الجسد وعلى هذه الأرض وبهذه القوانين، فأنت مجبر أن تعيش وفقًا لقواعد اللعبة التي تخصك.

ويظل الكون ملئ بألعاب أخرى وبقواعد مختلفة وقوانين عديدة، فقط حرّر عقلك وستشعر بها وتدركها واغتنم ثغرات اللعبة، واخرج عن المألوف، فكما يحدث تماما في البرامج (ERROR) ويتوقف البرنامج حتى تعيد تشغيله، يحدث في قوانيننا كذلك.

وفي لمحة من الزمن تعيش أوقاتًا خاطفة من السعادة تمر كالدقائق، وتنظر في ساعتك فتجدها دارت عدة دورات ومر من الزمن عدة ساعات.

وقد يتجمد الوقت في دقائق انتظارك لشيء ما، ويمر ثقيلًا وتظنها ساعات.

هي تلك الأوقات التي تخبرك أن لكل قاعدة شاذ، التي تعلم من خلالها أن الوقت لا يحسب بالدقائق والساعات، وأن الزمن هو لعبة كبيرة، وتعلم جيدًا أنك لست بحاجة لآلة الزمن، أنت فقط بحاجة لتتعلم السرقة حتى تستطيع سرقة أوقاتك من الزمن.

والآن أخبرني.. في حياة أخرى بعد الموت أتعتقد أن هناك من ينتظر من الأموات منذ آلاف السنين ومن مات اليوم ومن سيموت بعد آلاف السنين، كلهم ينتظرون يوم القيامة، وكل هذه السنين من الانتظار تفصلهم عن بعضهم.. كيف يتساوى الأموات في انتظارهم كل هذه السنين؟

وهل تعتقد أن ذلك هو العدل الإلهي الذي لا يخطئ..

حاشا لله.

الإجابة مرة أخرى.. هو الزمن.

لأنهم غادروا اللعبة انتهى تأثير قواعدها عليهم.

فهناك لا زمن، لا فرق بين آلاف السنين وبضع ساعات.

لأنه لا سنين ولا شهور ولا أيام ولا أرض تدور حول شمس ولا نهار ولا ليل.. لا شيء يطلق عليه زمن.

هل قرأت القرآن.. لماذا كلما أراد الله أن يخبرنا بزمن ما فوق مستوى إدراكنا كخمسين ألف سنة أو كمائة ألف سنة، أضاف إليها لفظ (مما تعدون)؛ لأنه لن نستطيع الفهم إلا بما يدرك به عقلنا،

ولكن الحقيقة أن الله أراد أن يخبرنا بأسلوب بلاغي أنه لا زمن، ولكن حتى نفهم وندرك أعطانا المثل بما ندرك.

كذلك أنا وأنت وكل المخلوقات هل نحن خالدون حقًا بعد الموت؟

الإجابه محيرة.

أستطيع القول.. نعم ولا.

نحن بالطبع خالدون بمعيار حياة الأرض وقوانينها، أما بمعيار الآخرة فليس للخلود معنى، فالشيء الموجود يظل موجودًا ليس إلى متى؛ لأنه ليس هناك متى!

فمتى ظرف زمان، أنت تحاول بها الاستفهام عن شيء ليس له زمان! حتى إنني لا أجد الكلمات في لغتنا التي أستطيع بها وصف ذلك المعنى.

الزمن كما نفهمه بدأ الإنسان في حسابه بعد خلق الكون بملايين السنين، الزمن وجد كما نفهمه عندما وجدت الأرض والشمس والقمر وداروا في فلك يسبحون.

والزمن كما نعرفه وجد بعد خلق الإنسان وقدرته على الحساب، وبعد أن استطاع الفهم والحساب نظر إلى السماء ورأى النجوم والأفلاك، وتعلم وتطور واخترع المناظير والتلسكوبات وذهب بها إلى الماضي.

ووقتها أدرك أنه حينما ينظر إلى السماء يشاهد الماضي ويسافر عبر الزمن آلاف السنين إلى الخلف وهو جالس مكانه، كل نجوم السماء التي تراها استغرق ضوءها آلاف السنين حتى يصل إليك، وحاضرها اليوم لن تراه أنت أبدًا، ولكن سيراه أحفادك بعد آلاف السنين.

تلك كانت قصة حضارة البشر في التأمل والحساب إلى يومنا هذا، ثم تسائلنا ماذا كان قبل ذلك، وكلما تسائلنا أضفنا للزمن مساحة جديدة في عقولنا، وقفز إلى ذهننا السؤال «**الله**» قبل تلك المليارات من السنين.

أين ومتى وكيف كان؟

حاشا لله أن نفكر في طبيعة الله وكينونته، ولكن كل منا سأل نفسه هذا السؤال ولم يدرك الإجابة.

وذهب البعض إلى الإلحاد عندما لم يجد الإجابة أو عندما أجاب!

ولكن هل تظن حقًا أن الله يُدرَك بمثل هذا الحساب.

الله لم تمر عليه كل تلك السنين لأنك أنت من تدرك السنين وليس هو؛ لأن الله هو الذي خلق السنين حتى تُدرك بها، وخلق الكون وخلقك وخلق لك ما تستطيع به الإدراك.

وفي ذلك الإجابة عن السؤال الذي بلا إجابة.

إجابه السؤال بسيطة جدًا، وهي تكمن في أنك لن تستطيع بلُغتك وبمحددات عقلك أن تصنع السؤال، فكما قلت إن السؤال يبدأ بـمنذ ومتى التي تفيد بسؤال عن الزمن.. وبالطبع فالإجابة لا بدّ أن تجيب خبرًا عن الزمن.

فإن كان لا زمن هَدُمت سؤالك وهَدُمت إجابتك.

أنت يا من تدرك بقوانين عقلك التي وضعها لك الله تريد أن تفهم بتلك القواعد ماهية الله.. فكيف تستطيع!

حقا إنني أشفق على الملحدين؛ فهم كالسجناء داخل عقولهم يبحثون عن حقيقة داخل صندوق، ولا يدركون أن من أغلق عليهم الصندوق هو فقط يملك المفتاح.

هو أمر أشبه بمحاولة تمييز رائحة ما من مخلوق بلا أنف!

ولأنك لن تدرك الله إلا بقوانينه هو، بماهيته هو ليس بما خلقك عليه.

وتذكر أن من وضع قوانين اللعبة يستطيع تغيرها ومحوها وإعادة تشغيلها، ويومًا ما ستدرك ذلك جيدًا.

حين تتغير قواعد الإدراك، جَنّب الزمن من المعادلة، وستتغير كل قوانين اللعبة.

والآن، هل حقًا لا تزال تريد ركوب آلة الزمن أم إن شئنا لنقل آلة اللا زمن؟

المُعضلة

مع كل احترامي وتقديري.. كلامي ليس موجهًا للأشخاص أو مكانتهم على وجه الإطلاق، بل إلى المبدأ نفسه الذي طبقه الأشخاص بنية حسنة وصادقة.

ومع كامل الاحترام لكل رجال الدين وعلمهم وثقافتهم ولكن لا أعتقد أن أحدًا منا لم يطالع لقاء على شاشات التليفزيون يحضره لفيف من ذوي العمائم والقفاطين البيضاء والصلبان والأثواب السوداء، صورة متكررة في لقاء يبث على الفضائيات يحضره دائمًا بعض المشايخ والقساوسة، ويطل علينا هذا اللقاء بعد أي تفجير أو عمل إرهابي يمس الكنائس أو إخواننا المسيحيين، ويبدأ وينتهي بالخطب العظمية العصماء والعظات المجيدة، وبعض لافتات على شاكلة الهلال مع الصليب والوحدة الوطنية.

وتبث الفضائيات ويتلقف الأمر كل الإعلاميين بابتسامة رضا وقد عبّأ بها نصف حلقته عن اليوم، ويتحدث الناس ويؤيدون ويعارضون، ويستبشرون بالمستقبل ويأكدون نبذ العنف ويشجبون، وتنقضي الليلة، ويعود كل إلى بيته.

أنا بالطبع لا أقول إن الكلمات والمشاعر كانت مصطنعة، لكنها مكررة وباهتة ومبتذلة من كثرة تكرارها، لا تسمن ولا تغني من جوع، قد يكون هذا هو غاية ما بذلوا، ولكن ليس الشافي من الجراح.

والحق أنني لا أعتقد أن هذا المشهد يختلف كثيرًا عن مشهد مماثل قد يكون حدث منذ ٧٠٠ سنة، في الأندلس مثلًا، حين كانت الأدوار مقلوبة، وحين كان الإرهاب يوجه من متطرفين المسيحية إلى المسلمين، ولا أعتقد أن الخطب والعظات اختلفت كلماتها كثيرًا.

ولأن عمر الزمان لا يقاس بأعمارنا، فنحن نعيش فقط حقبة منه، فقد يختلف كثيرًا رأينا إن عشنا في الأندلس مثلًا، في الوقت الذي كانت تمارس فيه المذابح ضد المسلمين من المتطرفين المسيحيين.

لو كتبت كلماتي هذه من ٧٠٠ سنة لكانت انقلبت الآية تمامًا، ولكنت فكرت بعكس المنطق السائد الآن.

ولا لهذا أو ذاك دخلًا بالإسلام أو بالمسيحية، وطالما لم يسأل أي منا نفسه سؤالا: هل الانتهاكات الإسرائيلية مثلًا بحق المسلمين والمسيحيين على السواء تتم برعاية نبي الله موسى وأوامره؟

وهل الحروب الصليبية مثلًا قادها أو أمر بها المسيح؟

وهل التطرف الإسلامي هو منهج وتعليمات محمد صلى الله عليه وسلم؟

إن الأديان بصفة عامة هي كلمات الله.. هي فكرة.. معنى سامٍ مُجرد.. لا تحمل سيفًا ولا تفجر قنبلة.

ولكن من يحمل السيوف ويفجر القنابل هم البشر والفكر، والكلمات هي ضحية مثل آلاف ضحايا التطرف، في اليهودية والمسيحية والإسلام على السواء.

طالما عاش مفسرون، وطالما كان هناك كاذبون ومجرمون ومحرفون.

الله وضع لك الدين بمبادئ الخير والعدل ولم يجبرك على اتباعه، أيًا كانت ثقافتك ومعتقدك وديانتك.

وذلك الدين، تلك الكتب وتلك الوصايا، نزلت في الأصل نقية وصافية.. لكنها نزلت على كل البشر.

ومع العصور امتزجت بآراء البشر وتفسيراتهم واتجاهاتهم، وكل من كان له رأي أو تفسير وضّحه في كتاب، حتى أكثر الآراء تطرفًا كتب على غلافه من تأليف شخص ما!

لم يقل أحد ولم يدعِ أنه من عند الله، ولكننا على مر العصور خلطنا الأمر.

وفي فوضى آلاف الكتب تداخلت آلاف الآراء والتفسيرات وامتزجت.

ولكن المُعضلة والمصيبة أن كل كاتب أو مفسر وضع في نهاية الصفحة أو بدايتها آية من القرآن، أو سِفر من أحد الكتب السماوية السابقة.

ولأن عقلنا يربط الأمور بتلك الطريقة فقد تعرضنا للخدعة آلاف المرات، وربطنا دومًا بين الآية المقدسة وتفسير البشر فقط لأنها كانت في السطر الذي يليها أو الذي يسبقها، فربط عقلنا بينهم بارتباط شرطي.. هكذا يعمل عقلنا للأسف.

فاذا كانت الوصية الأولى التي نزلت في اللوح على موسى (لا تقتل).

وإذا كان المسيح قد علمنا: (أن أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مُبغضيكم، باركوا لاعنيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم).

وإذا كان القرآن يخبرنا «**إن الذي قتل نفسًا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا**».. فبأي دين تقتلون الناس.

لقد كان أولى بنا حين أطلقنا الأسماء ورددناها ألا نقع في خطأ التسمية.

ليست جماعات إسلامية متطرفة، ولا مجموعات مسيحية أو يهودية متطرفة.

كان الأصح أن نسميها أتباع الإمام أو أتباع القس أو أتباع الحاخام الضال؛ فالمتطرفون على مذهب من يبيح لهم التطرف.

هم ومذهبهم المشوه الأحمق من يوصمون بالهمجية وليس دينهم؛ ولذلك فإني أرى أن لا أحد مِمَن يتبعون الدين نفسه مطلوب منه الاعتذار أو إبداء الأسف، لأنه لا صلة بينه وبينهم من الأساس.

لذلك كانت المسرحية الهزلية التي تحدثت عنها، تلك اللقاءات التليفزيونية الهزلية والتي تعودنا فيها أن يواسي شخص شخصًا آخر، وكلاهما لا صلة بينهم وبين الحدث، ولا دخل لهم في أسباب حدوثه.

لكن المعضلة أن من يُعزي ويواسي في بعض الأحيان لا يزال يرسخ في ذهنه آلاف الكتب الممتلئة بآلاف التفسيرات، ولا يستطيع التجرؤ على رفضها حتى وإن رفض ترجمتها لأفعال.

تلك هي المعضلة.. إننا نقدس القديم.. وكأننا نقدس كتب الله لأنها من آلاف السنين، وكل ما تلاها يقل في تقديسه طبقًا لما مر عليه من السنين، وكأنما آراء البشر تأخذ المرتبة بمرور الزمن، وكأنما أغلقنا عقولنا.

فهل لو فسرت أنا القرآن اليوم في كتاب سيصبح كتابي في التفسير مقدسًا بعد ١٠٠٠ سنة ويعد من المسلمات، وإن أخطأت أو شطحت أو هرطقت، وإن ملأت كتابي بآلاف القصص الخرافية، وأرجعت مصدرها إلى أشخاص مثلي دون سند أو راوٍ أو توثيق معتبر، وهذا ليس بالضرورة فيما يخص الإسلام فقط، بل لكل كتاب ودين شطحاته وهرطقاته البشرية على مر السنين.

ذلك الأمر هو معضلة كبيرة في حياتنا لا تتعلق فقط بالتطرف، بل تتخطاه لكل نواحي الحياة، فأمثلة تقديس القديم تلك تطل علينا في كل وقت وحين، من تلك اللحى المبعثرة كرجل الكهف، ومن تلك الجلاليب القصيرة يمينًا ويسارًا، البيضاء والسوداء على السواء، ومن آلاف الدروس التي تتحدث عن النساء في فترة الحيض! وقد سقطت سهوًا في خضم تقديس الكتب القديمة كتب أخرى أهم بكثير.

من تأليف جابر بن حيان وابن الهيثم والفارابي والخوارزمي كتب تتحدث عن العلوم والرياضيات والكيمياء والفلك.

نحن روينا واهتممنا كثيرًا جدًا باستخدام السواك ودعاء النوم والاستيقاظ ودعاء الخلاء، ولم نطبق الأخلاق والمعاملة والصدق والأمانة بالاهتمام نفسه حتى أصبحنا نسخًا مشوهة مما أردنا أن نصبح عليه.

فنحن لا نعيش في البادية ولا نرتحل بالجمال في ١٠٠ يوم ولا نقضي حاجتنا في الخلاء.

ومنذ ١٤٠٠ سنة لم توجد ماكينات حلاقة، ولا كانت بسهولة أيامنا، فكان من الطبيعي أن تجد كل الرجال لهم لحى.

وعلى الرغم من أن في الكتب أيضًا وفي الرواية عن الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ ما يحدثنا عن تهذيب تلك اللحى وعن حسن المنظر.

ومنذ ١٤٠٠ سنة كانت تُقصر الجلاليب حتى لا يعلق بها الطين أو تؤذيك حين تقضي حاجتك في الخلاء؛ لأنهم لم يكن لديهم حمامات مغطاة بالسيراميك، ولم يكن لديهم مصانع للبناطيل الجينز.

وأما عن دراستي لحيض النساء وقرائتي لمئات الكتب عن النكاح وعلومه فلا أعتقد أبدًا أنني في حاجة للتعمق في هذه الموضوعات، بل أعتقد أن وقتي أثمن من أن أقرأ هذا، وأهمل كتبًا تتحدث عن العلم والمعرفة، فحينما أحتاج لمعرفه شيء من ذلك

يكفيني ضغطة زر لأجد كل ما أبحث عنه على الإنترنت، وأستغل وقتي فيما هو أهم، في عمل أو قراءة كتاب أو حتى في جلوسي مع أولادي مثلما كان يفعل رسول الله ـصلى الله عليه وسلم، ليس مثلما تروون عن أفعاله، وأنا لا أحط من قدر شيء أبدًا ولكنني إن تمكنت فأنا فقط أحاول إضاءة مصباح في الظلام.

نعم، بالتأكيد دعاء قبل النوم هو سُنة عظيمة، ولكن الأهم هو حينما تردده وأنت ممدد على سريرك تكون قد قضيت يومك دون كذب أو ظلم أو رشوة أو نفاق، وأديت عملك على أكمل وجه وارتاح بالك، وقتها فقط ستقرأ دعاء قبل النوم وأنت أهل له.

ليس الهدف أن تتحول إلى ببغاء يردد الأدعية وينسى العمل بها، بل اعمل بها جيدًا ومارس الأخلاق الحميدة ولن يضرك إن نسيت أن ترددها.

فإن ترديدها سُنة لن تخطئ إن نسيتها، لكن العمل بها هو أساس دينك وأخلاقك وأولّى وأنفع أن تعمله.

لا تكن كالأسطوانة تعمل حين تضغط على زر التشغيل، وكلامي هذا أيضًا ليس لدين بعينه.

ففي كل دين ومعتقد آلاف المشوهين وآلاف الببغاوات، نحن هنا نتحدث عن البشر، ليس عن صنف منهم أو عن دين بذاته، عن الإنسان بصفة عامة.

فقط، اتبع ما يمليه عليك دينك، فكل الأديان تدعو للخير والعدل، اقرأ كتابك المقدس وراجع نفسك بنفسك.

خدعة كبيرة أخبرونا بها أن الدين (بالنقل لا بالعقل).

والإجابة كانت وطالما كانت من الله في كتابه «**أفلا يعقلون**»، وكي لا أوصم بالهرطقة فإنني مضطر لتوضيح مفردات تلك العبارة جيدًا: الدين بالنقل لا بالعقل.

وأنا أتفق تمامًا معها ولكن إن فهمتها بالطريقة الصحيحة.

فالدين مثلما أفهم هو كل المثل العليا والأخلاق، والنقل هو نقل عن الله وعن كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وليس عن روايات قديمة ضعيفة وحسنة وصحيحة برواية، وعن لسان من رواها، لأن الصحيح فيها هو ما قال عنه راويها إنه صحيح، وراويها بشر مثلي تمامًا يخطئ ويصيب، ومثلما يخطئ ويصيب يكذب أحيانًا!

والأمر لا يحتاج أكثر من شخص كاذب واحد في سلسله الرواة.

والصحيح منه يصح فقط إذا ما طابق كلام الله في الكتاب وليس ما فسروه ليكاد يطابق أو ما نسخوه، وما عندي في الكتاب يكفي، بهذا المنطق أقبل هذه العبارة ولا أمانع (الدين بالنقل لا بالعقل).

لكن المُعضلة أنهم وضعوا لتلك العبارة (الدين بالنقل لا بالعقل) إسنادًا هي الأخرى وجعلوها صحيحة عن رواية وعن سند، فأصبح الأمر أشبه بمعضلة «**البيضة ولا الفرخة**» أيهم خلق أولًا.

فحين تحتار في فهم رواية ما وتحاول رفضها سارعوا لقفل الأبواب على عقلك قبل أن تفكر بأن الدين بالنقل لا بالعقل!

فإن فكرت في تلك العبارة نفسها وحاولت أن تنتقدها أعطوا لك الأسانيد على صحتها برواية فلان عن فلان!

ولمرور أكثر من ١٠٠٠ سنة فقد تاه عنهم معناها وتخبط عندهم قصد قائلها.

وبذلك المنطق أصبحنا كالهائمين على وجوهنا في بحر الكتب، وبدون إرادتنا قد وكّلنا عنا من يخبرنا بما أراد الله وأمر، على الرغم أن في بيتك عدة نسخ من كتابك المقدس وفي سيارتك وعلى هاتفك، وكلها مجانية ومتاحة لك في كل وقت، ولكن في الكثير من الأحيان تكون المعضلة الحقيقية هي داخل عقلك.

قد تكون الخوف والرهبة من التفكير في عدم منطقية رواية أو حدث أو فكرة طالما ارتبطت بالدين.

وقد تكون راحة نفسية تخشى فقدانها إن ناقشت وتفكرت في شيء ما تفعله كل يوم، وتخشى تغييره أو تخشى البحث عنه أو قد تخشى إن كان خطأ.

والحق أقول لكم طالما لم تحظَ بالراحة النفسية في الدين فبالتأكيد هناك خطأ في فهمك له، الله يقول (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول عن الصلاة (أرحنا بها يا بلال).

فكما خلقنا الله صنعنا وأتقن الصنع، وهو يعلم جيدًا ما يشقينا وما يريحنا، مثلما تشتري أنت أي آلة وتجد معها كتيب الإرشادات، فحين تتبع إرشادات الصانع تحصل على أفضل أداء، وحين لا تتبعها تفسد منك آلتك.

فكذلك نحن.. الأديان هي «**الكتالوج**».. هي السبيل لراحتك النفسية واتزانك الداخلي، وهي السبيل لصلاح المجتمعات بوجه عام.

فإن لم تحصل على اتزانك النفسي وصفائك، وإن فسد المجتمع من حولك لا بدّ أن تعلم أن هناك خطأ ما.

ولا بدّ أن تجده حتى تُصححه فإن الله لا يخطئ، والبشر يخطئون.

نحن نعيش في مجتمع متدين بطبعه..

أو هكذا يقولون!

وتلك معضلة أخرى.

في الغرب قد تجد في الأفلام الهوليودية تجرأً على الله، وتطاولًا على الملائكة والأنبياء ويندرج ذلك للأسف تحت حرية الإبداع والخيال.

وفي الغرب قد تجد تحررًا شديدًا في الملابس وفي العلاقات الاجتماعية وفي الجنس، وكل ذلك لن تجده في مجتمعاتنا..

أو هكذا يقولون!

المعضلة أنهم فعلوه في العلن ونحن فعلناه في السر.. وعندما أصبح سرًا أتاح لنا أن نفعل الأسوأ!

وتجَمّلنا كثيرًا وأحسنّا رسم ظواهرنا وخرّبنا ودمرنا داخلنا، فأصبحت مُعضلتنا مُعضلتين ومُصيبتنا مُصيبتين.

لأننا نظرنا لهم من علياء، وامتعضنا وقلبنا شفاهنا ونحن نتحدث عنهم وانتهينا من الحديث وذهب كل منّا ليفعل أقذر منهم في الخفاء، كّل منا على خطأ كبير.. ولكنهم خاطئون صادقون، أو لديهم الجرأة على الصدق.

وفي الغرب الكثيرون بعيدون عن الدين، وفي الغرب ملايين الملحدين يقبلهم المجتمع دون أي مشكلة.. لن أقول لك هذه المرة أو هكذا يقولون، ولكن سأخبرك أن من الجرائم العظيمة في نظر المجتمع الغربي والمُخلة بالشرف على سبيل المثال الكذب والخيانة الزوجية.. إنها حقيقة.

فحتى الخطيئة عندما أصبح لديهم القدرة على الصراحة بها وعدم نكرانها أدى ذلك لأن ارتفعت قيمة الصدق والأمانة، فعندما لا تملك شيئًا تخفيه أو تخجل منه يصبح الكذب جريمة.

بالطبع هذا المنطق منقوص أو مشوه، ولكنك بتحليل صادق مع النفس قد تفاجئ أن به نصف الهدف.

هو منطق لإنسان لم يُزكِ نفسه ولم يكذب عليها، وإنسان ترك نفسه لشهواته ولكنه صدق معها.

هو بالتأكيد منطق معلول، ولكن في مجتمعنا فالعِلة عِلّتان، وإن شئت أضف عليها صراعًا مع النفس بين الظاهر والباطن.

في الغرب، تحصل على خدمات اجتماعية ممتازة، وتسير في شوارع منضبطة، وتحصل على حقوق دون (كَرمَشه).. وفي مجتمعاتنا قد يضيع الحق بين ألف فاسد ومرتشي.

في الغرب، يبتكرون ويصنعون ويطورون.. وفي مجتمعاتنا نستهلك.. فمن منا على حق ومن على باطل.

وإن علمنا أنهم على نصف حق ونصف باطل، هل نعود لدفن رأسنا في الرمال.. هل نظل نردد كما كنا العبارات نفسها؟

إذا كان الغرب فعل ذلك بنصف دين، فلماذا لا نُدرك أننا أضعناه.. فقدناه حينما فعلنا الخطيئة وأخفيناها وادّعينا الشرف.

وحينما بررناها آلاف التبريرات.. وحينما غلفنا ظاهرنا برداء إيمان زائف.

أخيرًا فلا تقلق.. نحن من تفوقنا على الغرب، فعندهم هناك في حياتهم ودينهم فقط «**نصف مُعضلة**».. وعندنا نحن كل المُعضلة.

حرب النجوم

لا أعلم لماذا من الصعب عليّ أن اقتنع بفكرة محاولاتنا لإيجاد حياة خارج كوكب الأرض في الفضاء.. بهذه الطريقة!

مع أنني مقتنع تمامًا بوجود مخلوقات فضائية.

لا، هو ليس تناقضًا ولكنني أرى أننا دائمًا نبحث في المكان الخاطئ، كمن أضاع شيئًا في الظلام وذهب ليبحث عنه في النور.

وقبل أن نبدأ في هذه الرحلة الفضائية، وكالعادة نحتاج لسرد بعض الحقائق.

إذا كنت يومًا قد سبق لك القيام برحلة طويلة بسيارتك من بورسعيد مثلاً في اتجاه الجنوب على الطريق الساحلي للبحر الأحمر حتى وصلت إلى حلايب وشلاتين في الجنوب على حدود مصر والسودان.

وأنا قد سبق لي هذه التجربة فعلًا، ستكون قد سافرت تقريبًا مسافة ١٠٠٠ كيلو متر، مسافة طويلة جدًا لكنك تستطيع حسابها أو تخيلها بحدود إدراكك.

لكنك لو حاولت تكرار هذه الرحلة ١٠٠٠ مرة!

مليون كيلومتر وقتها سيبدأ إدراكك في التخبط.

من الصعب جدًا أن تتخيل المسافة؛ لأنك حتى لو قررت الدوران حول الكرة الأرضيه كلها بداية من نقطة حتى العودة للنقطة نفسها، ستجد أن المسافة حوالي ٤٠ ألف كيلو متر فقط؛ أي حوالي ٤٠ ضعف الطريق الذي قطعته فقط من بورسعيد إلى حلايب وشلاتين!

وإذا كان المليون كيلو متر هي مسافة مهولة، فما بالك بالألف مليون كيلومتر والألف مليار كيلو متر والألف ترليون كيلو متر.

بالطبع لن نستطيع التصور أبعد من هذا لأن حدود إدراكنا لن تكمل الرحلة معنا أبعد من هذا كثيرًا.

يكفيك أن تعلم أن وحده القياس المقبولة لحساب المسافات في الكون هي السنة الضوئية، وهي ببساطة تعني أنك عندما تسافر بسرعة الضوء لمدة سنة تكون قد قطعت مسافة ٩٤٦٠٨ وأمامها ١١ صفرًا من الكيلومترات، لو حاولنا تبسيط الرقم نستطيع أن نعلم أن ذلك هو ما يساوي ١٨ مليون كيلومتر في الدقيقة! (الرحلة من بورسعيد لحلايب ١٨ ألف مرة في دقيقة!).

وعلى كل حال فإن هذه المقدمة كانت مجرد محاولة لكي نتخيل المسافات بين النجوم والمجرات.

ولو علمت أن الكون قد بدء بانفجار من ١٣,٨ مليار سنة ولا يزال يتسع حتى هذه اللحظة من تأثير الانفجار وبسرعة مهولة.

هل تتخيل المعايير والوحدات الحسابية!

أنت تفتخر بحضارة ٧٠٠٠ سنة وكأنها غمضة عين في عمر الزمن، فما بالك بعمرك أنت إذا كان ٧٠ أو ٨٠ أو١٠٠ سنة «**وربنا يديك طول العمر**».

كانت هذه مجرد مقدمة بسيطة نتخيل بها معايير الكون والفضاء.

نعود لرحلتنا ولأصل ما نتحدث عنه، لماذا نبحث في المكان الخطأ؟

الموضوع لا يحتاج إلى أي فلسفة، نحن نعلم جيدًا أن الملائكة خلقت من نور، والجن والشياطين خلقوا من نار، والإنسان والحيوانات خلقوا من طين صلصال.

إذن الدليل أمامنا.. ليس كل الخلق من الطين! بل تنوعت مواد الخلق.

وإذا تحدثنا عما نستطيع رؤيته من مخلوقات حولنا فقط، عن المخلوقات التي خلقت من المادة نفسها، من الطين، ونظرنا إلى التنوع سنجد الزواحف مثلًا، ستجد منها البرمائيات التي تستطيع الحياة في البحر وعلى الأرض وتتكيف.

وتحت الماء سنجد المخلوقات البحرية لا تتنفس، بل تستخلص الأكسجين من الماء.

وإذا غصنا في أعماق كبيرة جدًا في المحيطات سنجد مخلوقات تعيش بدون عيون، لأن الضوء لا يصل لهذه الأعماق على الإطلاق ومن ثَمَّ تكيّفت على هذا الوضع، وأصبح لديها وسائل أخرى للرؤية والاستبصار، مثل الموجات الصوتية مثلًا.

الخلايا الدقيقة والفيروسات والبكتيريا لا تتنفس، وتتحمل ظروفًا طبيعية لا يتحملها البشر!

ومخلوقات تستطيع دفن نفسها في الرمال لشهور!

ومخلوقات تدخل في بيات شتوي وتقريبًا تصل لحالة من الموت المؤقت!

القائمة طويلة جدًا من تنوع الخلق وصوره، وتكيف كل المخلوقات على أنماط الحياة وظروفها.

ومن كل ما سبق، السؤال البسيط هو.. لماذا نبحث دائمًا عما يشبهنا في الخلق، ونبحث عن الكائنات التي تتنفس الهواء مثلنا وتشرب المياه وقد تأكل «**صينيه محشي**»!

لماذا دائمًا نبحث عن الكائن الذي يتحمل جسده درجات الحرارة نفسها التي تتحملها أجسادنا، والذي يتحمل درجة حموضة أو قلوية الجو والمناخ الذي يتحمله البشر.

لماذا ننفق مليارات الدولارات على أبحاث لإيجاد كوكب شبيه بالأرض في التربة والغلاف الجوي ووجود المياه.

لماذا نظل دائمًا مسجونين داخل عقولنا، ولا نرى في الكون غير أنفسنا أو ما يشبهنا، ولماذا لا نقتنع بإمكانية وجود الحياة مثلًا بجهاز تنفسي مختلف قادر على تنفس غاز النيتروجين وليس الأكسجين.

وإذا كان ذلك موجودًا أمامنا من الأساس على كوكبنا وأمام أعيننا، كل الأشجار والنباتات تتنفس ثاني أكسيد الكربون وتخرج الأكسجين، على عكس جهاز تنفس البشر!

ولماذا قدرة تحمل الجلد والعظام والخلايا للكائنات التي نبحث عنها لا بدّ أن تقاس بقدره خلايانا وعظامنا، ولماذا نتخيل دائمًا أن حجم أجسادنا لا بدّ أن يكون هو المعيار في حدود حجم أجساد الكائنات الأخرى.

لماذا لا نتصور إمكانية وجود كائنات فضائية في حجم الفيروسات أو في حجم ١٠٠٠ ديناصور!

لماذا نبحث دائمًا عمّن يحتمل الظروف والمعايير نفسها.. «**ليه منخرجش بره الصندوق**».

بالظبط مثلما تحكم أنت على شخص ما بأنه بخيل، وعلى شخص آخر بأنه مُسرف بالاعتماد على أنك أنت هو المعتدل والمعيار المظبوط.

وهذا هو الخطا الشهير الذي نقع فيه كل يوم في حكمنا على الناس، فدائمًا ما نفترض في أنفسنا القاعدة التي يقارن على أساسها كل الناس، على الرغم من إنه الشخص نفسه الذي تراه بخيلًا يراك مُسرفًا!

وذلك الشخص الذي حكمت عليه بأنه مُسرف يتحدث عنك باعتبارك رمز الشح والبخل في الحياة!

وبهذا المنطق نفسه نحكم على كل شيء في حياتنا، منطق «**خالتي أم سيد**».

ولكن الغريب في الأمر حقًا أن يكون منطق «**خالتي أم سيد**» هو منطق «**الخواجه بتاع وكالة ناسا**» نفسه.

نعود للأرقام والمسافات التي بدأنا بها حديثنا.

هل تعتقد أن بكل هذا الاتساع الشاسع نستطيع الوصول لمخلوقات تبعد عنا بضع سنوات ضوئية.

بالمنطق الحسابي الرسالة التي نرسلها لا سلكيًا اليوم بافتراض أنها سوف تصلهم ويعيدون الرد عليها، سيصل الرد إلينا بعدما تكون أجيال ماتت وأجيال ولدت.

من الممكن جدًا أن يصل الرد على الرسالة لحفيد حفيدك، ووقتها قد لا يعلم فائدتها ويلقيها في القمامة وينتهي الأمر!

وهذا أيضًا على افتراض استخدامهم في التراسل والتعارف والتواصل الموجات اللاسلكية نفسها التي نستخدمها وليس مثلًا عن طريق التخاطر أو الروائح أو نوع آخر من الموجات مثل «**الواي فاي**» مثلًا، أو حقول الطاقة التي تكلم عنها نيكولا تيسلا.

«يعني بهذا المنطق نفسه (بتاع خالتي) إنك مفترض إن الجدع الفضائي قاعد بيبعت تهنئة لسوسو وأم سوسو والأهل والأصدقاء على نجاح سوسو في مدرسة الثقب الأسود الإعدادية وقاعد بيتفرج على غروب ثلاث أربع شموس ويسمع نجوم إف إم!

تصدق ممكن... طالما القناة اسمها نجوم!»

تساؤل جديد.. الكثير من الناس يستدلون بآيات من القرآن على احتمال وجود أنواع أخرى من الحياة، مثل لفظ «**رب المشارق والمغارب**» وكلمة «**العالمين**» في القرآن.

لكن السؤال المهم.. لماذا تحاول أن تفرض على الله ضرورة إخبارنا تفصيليًا عن أنواع الحياة المختلفة التي خلقها، إذا كان يفصلنا عنهم مسافات شاسعة، وقد لا يستطيع أي منا معرفة الآخر نهائيًا.

بل إن ما أخبرنا به الله عن أنواع الحياة في الأرض وعن كل المخلوقات التي تعيش حولنا هو مجرد تنويه.. وقد تمت جميع الاكتشافات والأبحاث والتصنيفات عن طريق العلم والعلماء والمشاهدة والدراسة.

وهكذا تعلمنا وتطورنا بالبحث العلمي، حتى في تعاملنا مع الله طبقنا المنطق نفسه، كأننا محور الكون والعالمين ببواطن كل الأمور.

ولماذا نستبعد أن يكون هناك ألف مليون كتاب سماوي تنزل على ألف مليون رسول.

في كل كوكب آخر وجدت فيه حياة مثل حياتنا وخلقنا ولكن بطبيعة شكلهم وطريقتهم في التواصل واللغة.

وكل الكتب السماوية الأخرى ليس بالضرورة أبدًا أن يكون قد أتي فيها ذكر لنا ولكوكبنا أو لحياتنا.. نحن لسنا محور الكون.. غرورنا هو الذي صور لنا هذا.

وصور لنا أن الكون مخلوق من أجلنا فقط!

والمنطق يقول لنا إنه في أي مكان آخر في أطراف الكون المترامية قد توجد حياة بأي صورة وأي شكل وأي محددات وقدرات تحمل، قد يتنفسون هيدروجين أو كبريت.

وقد يكون تكوينهم لحم وعظم أو مخلوقين من الحديد أو النحاس، ليس بالضرورة أن تتوفر عندهم مياه ولا «**عصير برتقال**».

يأكلون ويشربون أو يستمدون الطاقة والغذاء من ضوء الشموس.

الخلاصة.. قد يكون كلامي خارجًا عن المألوف.. وقد لا يستند على حقائق علمية في الكثير من المواضع.. ولكن مع الوضع في الاعتبار أن كل اكتشاف أو اختراع بدأ بفكرة مجنونة مثل تلك الأفكار، وأنا بالطبع لست عالمًا أو باحثًا.. كل ما في الموضوع أنني رحال في بحور التأمل، وصنعتي هي التفكير، وأفكر دائمًا.. «**بره الصندوق**».

علبة ألوان

سوف أطرح عليك سؤالًا بسيطًا جدًا، لكني لا أعتقد أنك تستطيع أن تجيب عليه بطريقة صحيحة.

بل إني أتحداك أن تجيبه بطريقة صحيحة.

هل تستطيع أن تصف لي الألوان الموجوده في علبة الألوان؟

أنا أعلم أنك تضحك الآن.. «**وحتقولي طبعًا أقدر**».

أحمر.. أزرق.. أخضر.. أصفر... لا ليس هذا ما قصدته، أنا لا أريد أسماء الألوان، أنا أريد منك وصفها.

وبالطبع فإنك ستعود لتخبرني أن الأزرق هو لون السماء والبحر، والأخضر لون الشجر، والأحمر لون دم الغزال و«**المارلبورو**».

ولكنها ليست الإجابة أيضًا.

ما رأيك لو نغوص قليلًا في هذا الوصف، ولو سمحت لي أن أتلاعب بعقلك قليلا... حسنًا شكرًا لك على سماحك لي بذلك.

إنت تعلم جبدًا أن الأزرق هو لون البحر وهذا شيء جميل.

لكن هل يا ترى الأزرق الذي تراه هو الأزرق نفسه الذي أراه أنا؟

أليس من الممكن أني أراه بطريقة مختلفة... أراه أخضر مثلًا!

وأن يكون اللون الأخضر هو ما عشت طوال عمري أطلق عليه أزرق وهو الذي بالنسبة لي لون البحر والسماء!

ببساطة.. هل تعلم أن كل هذه الألوان ليس لها وجود أصلًا!

وإن كل الألوان التي تراها في حياتك عبارة عن فيزياء وكيمياء.

الألوان تنتج من انكسار وانعكاس الضوء بطول موجي مختلف للمواد المختلفة، وتدخل عينيك هذه الأشعة وتترجمها الخلايا في عينيك لألوان مختلفة طبقًا لطبيعة المادة المنعكسة عليها وكمية الضوء التي امتصته وكمية الضوء المنعكس عليها وطوله الموجي.

وما تراه في حياتك كذلك يتم وفقًا لهذه الآلية.

وبدون ضوء لا توجد ألوان، أنت في الظلام الدامس لا ترى غير الأسود ليس لأنك لا ترى.. لا، لأنه لا يوجد في الظلام انكسار للضوء في عينيك لو كان لفت انتباهك يومًا ما في الإضاءات البنفسجية أو الزرقاء مثلًا، لو أضأت مصباحًا أزرق ستلاحظ أنك ترى الألوان بطريقة مختلفة عن أصلها، الألوان نفسها التي كنت تراها من قبل ولكنها تغيرت، لأنك شوهت الطول الموجي لها بموجات مختلفة أقل أو أكبر في الحيز الترددي.

وبالطبع أنت تعلم أن بعض الحيوانات لديها «**عمى ألوان**»، تلك الحيوانات ليست مريضة ولكن تلك طبيعة عيونها؛ لأن خلايا عينيها ليست مؤهلة لتحليل أطوال موجية مثل خلاياك، وهذه الحالة أحيانًا ما تصيب البشر في صورة مرض يسبب عدم رؤية الألوان رؤية صحيحة.

بل إن حالة مشابهة لهذا أيضًا موجودة في السمع.. هناك أصوات لا تستطيع سماعها وذلك ليس بسبب خفوتها، لكن في بعض الأحيان بسبب شدتها أو بسبب شغلها حيز ترددات أعلى مما تستطيع أذنك سماعه، وهذا ما يجعل الدرافيل على سبيل المثال أو الذئاب تسمع أصواتًا من مسافات بعيدة جدًا لا تسمعها أنت.

ليس للأمر علاقة بقوة السمع أو ضعفه... كل ما في الأمر أن خلاياك تستطيع تحليل ترددات صوتية في حيز من ٢٠ إلى ٢٠،٠٠٠ هيرتز؛ ولذا فإن كل ما أقل منه أو أعلى منه بالنسبة لك كأنه غير موجود.

نعود إذن للألوان والرؤية، وهذا غالبًا السبب الذي يمنعنا من رؤية الملائكة والشياطين وأي مخلوق آخر خارج حيز إمكانية عيوننا التحليلية، وترجمته إلى صورة مرئية داخل عيوننا وعقولنا.

ما رأيك لو سألنا سؤالًا آخر.. أغرب قليلًا من السابق.. أين تتكون الصورة التي نراها من الأساس؟

أنت تستطيع مشاهدة تليفزيون أو شاشة سينما متكون عليها الصورة، وتستطيع أن تمسك في يديك لوحة فنية أو صورة مطبوعة.. لكن مشاهداتك الشخصية، على ماذا تعتمد لتصبح صورة؟

أين الفراغ الذي تكونت عليه الصورة بأبعادها الثلاثة داخل عينيك وإلا كان لزامًا أن يتسع دماغك للبحر والسماء والشجرة التي تقدر بعشرة أضعاف طولك.

حسنًا.. قد يكون لهذا السؤال إجابة طبية وتشريحية لستُ بصدد الحديث عنها، وبالطبع فلم أدرس التشريح يومًا.. إنما عن غير المألوف أتحدث دائمًا.. كما المعتاد.

سؤالي هو عن: أين الصورة التي تتذكرها من عشرات السنين كذكرى انتهت ولم تعد موجودة، وتكونها في الفراغ كأنك تراها!

هل تأكدت الآن أن الموضوع مجرد كيميا وفيزيا.

وهم.. لكن عقلك هو الذي يجعله حقيقة.

وهذا تحديدًا هو ما يحدث بطريقة مرضية أو بها خلل ما عند مرضى الهلاوس البصرية والسمعية.

الموضوع ليس بالصعوبة في تخيله «**ولا هو شغل عفاريت**».

الصور التي تكونها في الفراغ هي أصلًا ترجمة عقلك للمشاهدات ولانكسار الضوء وللموجات والترددات؛ ولذلك يستطيع عقلك أن يضيف عليها انكسارات أخرى من الماضي أو من الخيال ويحولها لصورة، ويستطيع أيضًا أن يضيف عليها بعض الذبذبات المسموعة ليصبح صوتًا وكلمات وحوارًا مع شخصيات وهمية.

وطالما أن عقلك هو المسؤول عن ترجمة كل الإشارات والذبذبات الحقيقية وإيصالها لك بهذه البساطة، يستطيع إضافة بعض الإشارات الأخرى وحذفها بالبساطة نفسها.

يستطيع اللعب في الترجمة بحرفية بالغة، ويضع أمامك الديناصور في الأتوبيس، ويستطيع جعله «**الكمسري**» إذا أراد.

لكن في أغلب الأوقات لا يحدث لك هذا لأنك أنت الذي يسيطر عليه، ولكن لو حدث الخلل وفقدت السيطرة.. «**حيوريك البدع**».

وسوف تجد السمك يطير في الجو والبطة والإوزة يرتدون «**بابيون**» وبدلة «**سموكن**»، ويتناقشون معك في النظرية النسبية.

المشكلة أن عقلك يملك كل الحلول، وللأسف إنه قد عاش معك طوال عمرك كله وعلم عنك كل ما تخاف منه.. وقادر على أن يخلقه لك في عينيك بحجم المارد... «**حتى لو كان صرصار**».

نعود لعلبة الألوان ثانية.. من كل هذا الكلام الفارغ أستطيع أن أخبرك بكل بساطة أنك تعيش في وهم الإدراك البصري حاليًا.

والآن.. هل تستطيع الإجابة عن سؤالي وتصف لي الألوان.

لماذا أصابك الصمت؟

ولو افترضنا أن الكيمياء التي في عيني مختلفة عن تلك التي في عينيك، وأني أرى اللون الأزرق رؤية مختلفة عنك.

هل تعتقد أن أحدنا أنا أو أنت سيعلم؟

أنا لا يمكنني معرفة الفرق إلا لو رأيت بعينيك، وأنت أيضًا لن تفرق إلا إذا رأيت بعيني، من الممكن أن يكون الأزرق الذي أراه الآن بالنسبة لك أصفر كناريًا!

ومن الممكن أن تستمتع بمنظر البحر الأزرق وأستمتع أنا أيضًا به وأنا أراه مشمشيًا!

وهو بالنسبة لي أيضًا أزرق، وأقسم لك أنه أزرق.

وقد نجلس أنا وأنت لنقول «**يا سلام على المنظر الطبيعي الجميل ده**»، وكل منا يرى رؤية مختلفة.

(حاجة كده زي ما أكون بأقولك الدنيا حر ثلج! وأنت بترد عليا تقولي لا طبعًا دا الدنيا برد نار!)

تخيل إني أوصفلك صورة جميلة فيها البحر والسماء لونهم أخضر وجزيرة مليئه بالشجر الأحمر والشمس لونها بنفسجي.

قد تضحك الآن أو تصفني بالمجنون، ولكن قد تكون هذه هي الحقيقة، وكما قلت لك لن يعلمها أحدنا يومًا!

أخيرًا لو كنت وجدت إجابة لسؤالي جاوب نفسك..

بس «**بره الصندوق**».

كيف.. رأيت الله

منذ ألف سنة تقريبًا حاكموا وقتلوا الحلاج بتهمة الكفر والهرطقة في أبيات أسماها رأيت الله.

والحقيقة أنني لست بصدد الرغبة في المصير نفسه، ولا بصدد الهرطقة. ولكن عندي ما يشغلني كثيرًا في معرفة الله، وفي البحث عن رسالاته إلينا، من وحيه إلى الأنبياء، ومن وصاياه في الألواح، ومن رسالاته إلى البشر، ومن كتبه السماوية، ومن همساته في آذاننا وتجليات قدرته حولنا.

في كل وقت في كل حياتنا وما نعيشه من تجلياته التي لا يراها ولا يفهمها سوى القليل.

هي واقع نعيش فيه ويعيش فينا كل لحظة، لكننا نغفل عنها بقصد أو بغير قصد.

فإذا تحدثنا أولًا عن الرسالات المباشرة بنزول الوحي على الأنبياء.

دعنا نفكر ونطرح السؤال.. كم من تلك الرسالات وصل إلينا.. هل القليل أم الكثير.. توراة وأنجيل وقرآن.

أم أن الذي لم يصل إلينا كثير جدًا ولكننا أرحنا ضمائرنا بعدم البحث وتغافلنا عما دون الكتب الثلاث، أو اكتفينا.. «**وهم كافيين وشافيين بالطبع**».

لكنني أتحدث عمّا وراء المألوف، كالعادة أتحدث دائمًا.. خارج الصندوق.

هل تعلم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبرنا عن أن عدد الأنبياء يربو عن ١٢٤٫٠٠٠ نبي، وأكثر من ٣٠٠٠ رسول.

وأخبرني.. هل قرأت يومًا عن تعاليم بوذا أو زرادشت؟

هل لفت انتباهك رسالة بهاء الدين أو آلاف الأديان الأخرى المندثرة أو حتى الحية والمحرفة والمشوهة؟

هل تعمقت في ديانة المصريين القدماء والإله آمون أو حتى عبادة الشمس أو القمر أو النار؟

ليس ما أقصده بالطبع دفعك لتؤمن بتلك الديانات أو الخرافات، ولكني أتسائل هل صدفة أنك إذا دققت في كل تلك الأديان على وجه الأرض ونحيت جانبًا أوجه الاختلافات أو لنقل الشطحات والهرطقات والتحريف الواضح، ستجد شبه تطابق فيما يخص الأخلاق والمعاني السامية الأساسية.

لو قرأت أكثر عن بعض الديانات التي تنبذها لمجرد ذكر اسمها كالبوذية أو الهندوسية مثلًا، وبغض النظر قليلًا عن مشاعر الكره أو العداء الذي يكنه بعض أتباع تلك الديانات للدين الإسلامي أو المسيحي.

فقط حاول الحيادية في القراءة والدراسة.. ونحِ العبادات وطرق تنفيذها، ونحِ جانبًا رؤيتهم لكينونة الإله وتفحص جيدًا في متن الدعوة.. ستجدُ أن الوصايا بها متطابقة مع ما تدين به أنت.. لا تقتل، لا تزنِ، لا تحسد، لا تسرق.

إن خرجت خارج صندوق العقل سترى جيدًا أن الأصل هو على الأغلب من مشكاة واحدة، ولكن منها ما وصل إلينا صحيحًا ومنها ما لعبت به أيدي الزمان والبشر، وتواتر عليه آلاف الرهبان الكذبة والمهرطقين والمحرفين، فوصل إلينا اليوم نسخًا مشوهة من أصل دين سماوي.

لا أقول لك اتبع البوذية أو الزردشتية ولكني أقول لك إن من تعدُهم كفارًا على وجه الإطلاق والعموم هم أنفسهم الإثبات على وجود الله، وعلى صحة دينه الواحد، ورسالته وشريعته التي تؤمن بها سواء كنت مسلمًا أو مسيحيًا أو يهوديًا.

وبهم وبهرطقتهم وإشراكهم تُعطي لمحة عن الله الواحد.

وعندنا في ديننا ما قد يثبت ذلك، فما نعلمه جيدًا من ديننا قصة الصالحين القدامى، الأنبياء والعارفين الذين اتبعوا تعاليم الله التي أعطاها لنبيه آدم أبو البشر، والذين عاشوا بعده مئات السنين على دينه القويم وشريعه الله، وعلى الصراط المستقيم وماتوا وظلت ذكراهم في الناس بالخير.

ومرت سنوات طويلة وأراد الناس أن يخلدوا ذكراهم التي قاربت على النسيان من تواتر الأجيال العديدة، فبدأت لعبة الشيطان الأولى فوسوس لهم أن يصنعوا لهم التماثيل على أشكالهم حتى لا تندثر ذكراهم، وحتى يظلوا أمامهم طوال الوقت ولا تندثر أعمالهم وسيرتهم.

هذا ما أخبرهم به الشيطان في بادئ الأمر، وقد فعلوا مثلما نصحهم وتركهم وأبناءهم وأحفادهم مئات السنين وهم يعلمون جيدًا أنها تماثيل لتخليد ذكرى الصالحين ليس إلا، وأنها لا تضر ولا تنفع.

وعاد إلى أحفادهم البعيدين مئات السنين الذين لم يشهدوا نحت تلك التماثيل، وتواتر عليهم أجيال عديدة واختلط عليهم أمرها، وألقى إليهم الشيطان بمرور الأجيال بذرة التقرب إلى الله بشفاعتها.

وأضلهم الطريق خطوة وراء خطوة.. خطوات بطيئة يفصل كل واحدة عن الأخرى أجيال من البشر.

ولكن في النهاية زرع الشر من مدخل الخير، وألقى إليهم فكرة شفاعة أولئك الصالحين القدامى بطلب البركة منهم في هيئة التمثال والتحدث إليهم علّهم يوصلون حديث البشر إلى الله.

وزرع الشيطان هنا بذرة الشرك الأولى هي البداية، لكنها لعبة متكررة طالما كررها الشيطان على مر الزمان وتعاقب الأجيال، ولعبها في كل بقاع الأرض.

فلم يكن ثمة وسيلة اتصال بين البشر مثلما في وقتنا، فقد كانت الأمم تعيش أجيال منها وتموت ولا تعلم شيئًا عن جيرانهم على الضفة الأخرى من البحر؛ لذلك فقد كانت الظروف مواتية لتكرار لعبة الشيطان القديمة مع العديد من الأمم والثقافات، وظل يشوه كل ما بدأ نقيًا طاهرًا بالطريقة نفسها.

وفي الفترات الزمنية نفسها التي تفصل الأجيال عن بعضها ومعتمدًا على الأسلوب نفسه.. السم في العسل.

حتى أصنام قريش لم تكن آلهة في دينهم ودين آبائهم أبدًا، العرب في الحجاز لم يكونوا أبدًا يعبدون الأصنام، بل كانت في ثقافتهم (الغرانيق العُلى)، وأسموها كذلك وقد كانوا عباقرة البلاغة بكُنيتهم عن طائر الغرنوق، ذلك الطائر الأبيض الذي يحلق في السماء على ارتفاعات عظيمة.

وغرض تسميتهم كانت تصوير تلك الأصنام على أنها من تأخذ دعاءهم ومناجاتهم وترتفع في السماء لتوصلها إلى الرب، كانت في ثقافاتهم الشفيعة عند الإله الأعظم، لم تكن هي الآلهة كما التبس علينا الفهم من الأفلام والمسلسلات.

أرض الحجاز كانت مهد دين إبراهيم عليه السلام، كانت مهد الحنيفية ووجد بها الديانه اليهودية بل بعض المسيحية، وكانوا على يقين بوجود إله قادر وعادل ورحيم لكنهم ضلوا طريق الوصول إليه.

وتلك القصة هي تكرار لكل صنم وجد على وجه الأرض؛ فالفطرة تذهب دائمًا لضرورة وجود إله ولكن لعبة الشيطان القديمة

المتكررة هي إيهام البشر بأن لا بدّ من وسيط بينهم وبين الله.. من نبي إلى عارف إلى رجل صالح..

حتى إلى شيخ يدعو وتؤمّن على دعوته.

وليس قصدي بالشيخ إمام في مسجد أو قسيس في كنيسة على الإطلاق، إمام المسجد وقسيس الكنيسة يساعدوك في الفهم ويوضحون لك طريق الوصول إلى الله وليس العكس.

كل حديثي عن النسخ المشوه من الفهم.

الشيخ والقسيس الذي أقصده هو من يحجر على عقلك ويضع لك الطريق الذي تسير فيه مغمضًا عينيك، ذلك الذي يتحول إلى صنم جديد ووسيط بينك وبين الله، والذي خطأ منا أن نطلق عليه لقب شيخ، ولا يستحق منه غير ما يوحي بأنه رجل كبير في السن.. شيخ.

بل ما أقصد هو التخبط في الظن بأنه لا بدّ من وسيط بينك وبين الله. والحقيقة أن الله داخلك هو كما قال لك، هو أقرب إليك من حبل الوريد، الله متواجد ومتجلٍ في روحك التي تعيش بها، وتجعل لعينيك القدرة على قراءة هذه الكلمات، وتجعل لعقلك القدرة على ترجمتها وفهمها، هي روح من الله التي نفخها في جسد آدم.. وكل الأجساد.

لا تبحث عن الله بالنظر إلى السماء، أبحث عنه داخلك في كل ذرة في جسدك وعقلك ونفسك، هو حاضر طول الوقت.

هو يرى ويسمع كل ما تفعل لأنه دومًا معك، هي روحك التي بداخلك، هو الذي لا حدود له وضع جزءًا منه فيك.

نعم صدق الحلاج حين قال رأيت الله. وأنا وأنت رأيناه حين رأينا الحق والعدل والرحمة في أفعالنا وحياتنا.

كذلك وبمنطق الشيطان نفسه واللعبة القديمة نفسها، فقد جنّد الشيطان على مر العصور رهبانًا كذبة ومهرطقين وضالين ومضللين سعت أقلامهم وألسنتهم وأحاديثهم في كل دين نزل أو رسالة نبي في عصور وسنين سحيقة، حتى شوهوا الجمال والرُقي.

لكنهم تركوا وترك الشيطان لنا الأخلاق في التعاليم!

نعم تركها الشيطان عن عمد!

حتى يظل الدين دينًا؛ لأنه لا دين يدعو إلى الفجور أو القتل والسرقة.

فإن كان حرفه وغيّر وبدل تعاليمه عن الأخلاق والوصايا لكان انتهى ورفضه عقل البشر ولم يتبعه أحد.

لكن كان لا بدّ لاكتمال الخدعة الشيطانية أن يضع لك بعض السم مع كل العسل وإلا كنت رفضته كله.

وحين تستمع لأسماء مثل بوذا وزرادشت لا تتسرع وتلقي عليها اللعنات وتصفهم بالكفر والشرك؛ لأنك لم تكن معهم وقت حياتهم، ولأنك لا تعلم من كانوا.

إذا كنت قد علمت جيدًا لعبة الشيطان التي طالما لعبها على البشر، فقد تستطيع أن تغير نظرتك لهؤلاء الرجال.. قد يكونون مهرطقين، لا أستطيع النفي.. وقد يكونون صالحين أو حتى أنبياء وحرف دعوتهم الشيطان، أنت أيضًا لا تستطيع النفي.

المنطق يخبرنا أن أصل الشرائع وجد على الأرض بالوحي إلى الأنبياء، ومن كل الأنبياء والرسل الذين يزيد عددهم عن ١٢٤,٠٠٠ لا نعلم سوى قصص بعضهم، والذي لا نعلمه آلاف وآلاف.

نعم، لا تقسوا على البوذيين والهندوس كثيرًا فقد يكونون في الأساس كانوا يعبدون الله ويتبعون أخلاقًا حميدة لكن لعبة الشيطان أربكتهم في أجيال وأجيال وعلى أيدي العديد من الرهبان الكذبة والمحرفين حتى وصلوا لأن يعبدوا الله الذي أخبرهم الشيطان عنه وليس الذي أخبرهم عنه النبي الذي نزل فيهم.

وهم مثلنا تمامًا في عدم البحث عن الحقيقة والمقارنة، الله موجود فيهم لكنهم لا يروه، الشيطان حجب عنهم رؤية الكثير، ولا يبحثون عن الله في كل ما لديهم وحولهم عن حقيقته.

ولكن إن لم أكن مخطئًا في فلسفة الحياة وسر منحنا إياها أنك إن لم تبحث وإن لم ترَ في الضباب، فأنت لم تحيا وإن عشت ألف سنة، ومن تلك الفلسفة تولد من جديد.

فأرحام الأمهات هي مكان تكون الأجساد، أما الروح المبصرة والحقيقة المتجلية فإنها تولد في مكان آخر وزمان آخر .. أنت من تصنعه بالتفكير في خلق الله، وبالبصيرة وتدبر الأحداث من حولك قد ترى.. وتبصر بعد حين ويومًا ستفتح لك الآفاق وسيسطع نور، لا شمسًا ولا قمرًا، فقط نور، إن شئت فسمه نور التجلي، وعندما تدرك أو عندما تدرك ما الإدراك سترى الله، وستنطق دون لسان ودون صوت.. صدقت يا حلاج.. أنا رأيت الله.

صديقي.. الفضائي

أنا لا أكذب ولا أضع عنوانًا ملفتًا، فإن لي صديقًا حقيقيًا من الكائنات الفضائية وسأروي لكم قصته لكن في النهاية، فقط دعوني في البداية أتكلم عن بعض النقاط التي تشغلني، مثلًا موضوع الأطباق الطائرة بالنسبة لي هو موضوع في غاية السخافة؛ لسبب بسيط هو أننا دائمًا ما نستوعب ما يستطيع عقلنا إدراكه وتصويره ونرتبط بالانطباع الأول، كما يقولون إن الانطباعات الأولى تدوم؛ لذلك كانت تلك الانطباعات هي دائمًا لعبة مصممي الإعلانات، غرضهم رسم صورة ذهنية عن سلعة ما ليوجدوا لديك ذلك الارتباط بشكل هذه السلعة واسمها، حتى تطلبها بذاتها حين ترغب في شراء صنفها من بين مثيلاتها في السوق.

ولأن الانطباعات الأولى تدوم، قد تجد نفسك مثلًا ترغب في شراء «**جبنة نستو**» وتطلب من البائع «**علبة جبنة نستو**»، في حين أن هذا النوع من الجبن تصنعه العديد من الشركات والمصانع وبمختلف الأسماء واسمه الصحيح «**جبنة مطبوخة**»، ويرجع السبب في ذلك (تمسكك باسم النستو) إلى أكثر من ٧٠ سنة

عندما صنع «**الخواجة نستو**» لأول مرة هذا النوع وطرحه في السوق المحلي، حيث لم يكن وقتها منافس لنوع الجبن نفسه.

وعلى الرغم من وفاة الخواجة نستو من عشرات السنين وغلق مصنعه وانتهاء وجود السلعة في الأسواق منذ فترة طويلة جدًا، إلا إنه لا يزال ابني الصغير حتى هذه اللحظة يطلب جبنة نستو.. ويرجع ذلك إلى مبدأ الانطباع الأول يدوم.

ولأنه إن رسخ في ذهنك صورة ما أصبح من الصعب جدًا تغييرها وتقبل غيرها، تستطيع القياس على ذلك في أمور كثيرة جدًا في حياتك، وتستطيع قياس ذلك على عدة أمور لا تتعلق بالسلع التجارية ولكنها أخطر في تأثيرها عليك، وهي الميديا والإعلام وصناعة الشخصيات والأحداث وتصويرها لك، وغالبًا ما تقع في الفخ، ولست وحدك كذلك بل إن تلك اللعبة مسؤولة عن تكوين آراء جمعية في أغلب الأحوال.

على سبيل المثال إن طلبت منك وصف الشخص «**الفهلوي بتاع الستات**» ستجد نفسك دون تفكير تقفز إلى ذهنك صورة الشخص الوسيم النحيف، ممشوق العضلات، مصفف الشعر بعناية، ونظراته الحادة، وبين شفتيه سيجارة رفيعة.

لن تتخيله أبدًا أصلعًا، مترهل الجسم، أجعد الشعر.

على الرغم من أن أذواق النساء تختلف، وقد تكون المواصفات الأخيرة أكثر رغبة من الوسيم ممشوق القوام، ولكن الصورة الأولى هي ما اعتدت عليها في الإعلام، وارتبطت ذهنيًا لديك بهذا النوع من الأشخاص.

نستطيع التجربة مرة أخرى، ما رأيك في العالم العبقري البروفيسير، ستجد عقلك أيضًا يذهب بك إلى صورة رجل «**ملخبط في هدومه**»، يرتدي قميص «**كاروهات مقفول ياقته**»، ولا يهتم بتصفيف شعره ويرتدي «**نضارة كعب كوباية**».

ولا يمكن أن تتخيل أن تكون صفاته: وسيم، شعر أصفر، عيون ملونة، ولابس جينز وتي شيرت»!

أنت هنا للمرة الثانية كنت ضحية عقلك الذي افترض سريعًا الصورة الذهنية المتعارف عليها التي تكونت لديك من تأثير السينما والمسلسلات والأفلام الكوميدية.

ولهذا السبب فإن فكرة الأطباق الطائرة بالنسبة لي فكرة سخيفة جدًا.

فقد أنتجت هوليود فيلمًا قديمًا منذ ما يقرب ٧٠ عامًا، يتحدث عن كائنات فضائية جاءت إلى الأرض على متن (طبق طائر)، كان ذلك خيال المؤلف في وقتها.

ولك أن تتخيل أننا منذ ذلك الحين نبحث بل ونصور مشاهدات غريبة جميعها تتحدث عن الأطباق الطائرة!

هل تتذكر الآن «**الفهلوي بتاع الستات**».

هل لو كان خيال مؤلف الفيلم الهوليودي قد جاء بالفضائيين على متن «**حلة**» طائرة مثلًا أو «**طاجن رز معمر**»، كنا سنبحث في السماء عن «**الحلل والطواجن الطائرة**»!

أم أننا منذ توقيت عرض الفيلم قد تعاقدنا مع الفضائيين على ألا يأتوا إلينا إلى الأرض إلا على متن طبق وأنهم أعطونا وعدًا بذلك!

كذلك ذهب خيال مؤلف إلى أن شكل الفضائيين مثلما صورهم بتلك الرؤوس الكبيره المنبعجة والعيون السوداء وجعل لونهم أزرق فاتحًا مائلًا إلى اللون الرمادي.

فهل لو أتى إلينا كائن فضائي برأس مستطيلة ولونه برتقالي سنعيده إلى الفضاء ونرفض استلامه، ونطلب ما اعتدنا عليه!

إننا أسرى عقولنا واستيعابها المبني على المشاهدات السابقة، حتى وإن كانت خدعًا سينمائية.. حتى إننا قد تقيدنا بأن حجم الفضائيين هو الحجم نفسه الذي ظهر في الفيلم الخيالي الهوليودي.

فلماذا لا يكون الفضائيون مثلًا في حجم النملة أو حجم الخلية أو الميكروبات، بل إنه في هذه الحالة قد يكونون زارونا ملايين المرات ولم نرهم.

ولماذا يجب أن يكونوا عدوانيين كما ظهروا في الفيلم وجاؤوا ليحتلوا كوكبنا ويبيدونا بالمسدسات الليزرية وحزم الضوء الفوتونية المميتة.

وكالعادة أو كالفيلم، فالفضائيون لا بدّ أن يكونوا متقدمين عنا علمًا وحضارة بآلاف السنين.. مع أنه لا يستبعد أن يكون هؤلاء الفضائيون مجموعة من الأغبياء.

ثم إن من فهمنا العلمي الحديث عن حجم الكون أصبحنا نعلم أن السفر في الفضاء وبين المجرات يستغرق آلاف السنين مما قد يهدم الفكرة من الأساس لو كانت معايير سفرهم هي معايير سفرنا.. لكن وعلى الفور وضع المؤلف الهوليودي العظيم الحل في التقدم العلمي العظيم للفضائيين الذي مكنهم من السفر في غمضة عين، مسقطًا عليهم أو مجبرًا إياهم بالتقيد بأعمارنا وهيئة أجسادنا وقدرة تحملنا نفسها.

فلم يفكر مثلًا أنه من الممكن أن يكون متوسط أعمارهم مائة ألف سنة، ومادة صنعهم أو طبيعة خلقهم مختلفة عنا نحن البشر وتتحمل ما لا نتحمله.. قد يكونون مخلوقين من المياه مثلاً.

لكل ذلك فإن فكرة بحثنا عن الفضائيين بهذه الطريقة سخيفة جدًا، وليس بالطبع فكرة وجودهم من عدمه.. فكرة سخيفة لأننا نفكر فيهم بمقايسنا عن أنفسنا.. عن حسابنا للزمن.. وعن شكلنا ومحددات أجسامنا، وقد سردنا هذا الأمر في مقال سابق.

ثم لماذا ننظر إلى الفضاء والفضائيين بهذا الاندهاش ونحن نعلم أن الأرض تكونت من الصخور التي تراكمت من الغبار الكوني بعد مليارات السنين من الانفجار العظيم.

إذن كوكبنا هذا الذي نحيا عليه هو قطعة من هذا الفضاء.

نعم تلك الرمال التي تمشي عليها على الشاطئ وتلك الصخور في الجبال والمعادن والأحجار الكريمة، هي من نتاج الفضاء.

جدران غرفتك وأثاث مكتبك والسرير الذي تنام عليه هو من نتاج الفضاء.

وإن قدر إليك يومًا السفر إلى القمر صدقني لن تجد الكثير، ستجد بعض الصخور والرمال التي تراها هنا كل يوم، صدقني ستجد الفضاء مملًا جدًا.

وإن نظرت من القمر إلى الأرض ودققت ستراني كائنًا فضائيًا يعيش في كوكب محلق في الفضاء!

وستراني وأنا أجلس على القهوة مع صديقي الذي أخبرتك عنه.

منذ فجر التاريخ

هل سمعت يومًا عبارة «**أن المنتصر دومًا هو من يكتب التاريخ**».

في الواقع هي عبارة مخيفة جدًا؛ لأنها تحمل في طياتها آلاف التساؤلات، فمثلًا في تاريخ الحروب درسنا وقرأنا ورسخ في أذهاننا جميعًا قصص معارك وبطولات عديدة، كتبها وأرخها المنتصرون.. فماذا عن المهزومين.. كيف نعلم ماذا كانت دوافعهم، بالتأكيد ليست الدوافع التي كتبت عنهم بأيدي أعدائهم هي ما أقصد، بل دوافعهم التي لم تكتب بأيديهم وطواها الزمن والنسيان، وكيف نعلم ماذا كانت بطولاتهم وأعمالهم وتضحياتهم ومأساتهم؟

ماذا لو كانت خدعة كل ما قرأناه ودرسناه.. ماذا لو كان المنتصر الذي مجدناه هو الظالم المغتصب.

فمثلًا، لو قرأت كتابين عن أبطال الحرب وعن الملاحم العظيمة أحد الكتب أمريكي والآخر روسي أو ياباني ستجد ذلك التناقض، فأيهم على حق.

اليابانيون مثلًا في معركة بيرل هاربر هم «**الجزاريين**» معدومي الضمير من وجهة نظر الأمريكان.. وهم الأبطال المناضلون من وجهه نظر اليابانيين!

ولكن ليس ذلك ما يعنيني حقًا، إن ما يشغلني هو ما دُون وكتب من جهة واحدة.. ماذا لو كان مغلوطًا.. قد تستطيع من رؤيتك للتاريخ الحديث أن تعرف أيهم كان على حق، ولكن إن مر على ذلك التاريخ ١٠٠٠ سنة، واندثر كل ما عدا كتاب المنتصر كيف تتيقن أنه الحقيقة، مثلًا تاريخ الحروب من آلاف السنين في الحضارات القديمة، في الصين والهند وبابل والرومان والإغريق وحتى مصر الفرعونية، كيف تستطيع معرفة الحقيقة، أنت فقط تعرف المتاح أمامك، وليس كل المتاح حقائق بل إنه ليس لديك من وسيلة الآن لمعرفة الحقائق سوى إحياء الموتي!

هل تتخيل حجم الخدعة.. قد نكون ظللنا أنا وأنت طوال حياتنا نترحم على الملك العادل ذي القلب الرحيم فيما الحقيقة أنه كان سفاحًا يستحق اللعنات.

وإذا كانت كتب الله ورسالات أنبيائه قد طالها التحريف والتعديل.. فهل تنجو الكتابات عن تاريخ البشر من التحريف.

في الواقع.. إن المنطق وحده يؤكد لنا أن ما نظنه تاريخًا هو في الحقيقة وجهة نظر شخص ما عن أحداث عاصرها في وقته أكثر من كونها حقيقة مجردة من التحيز.

وبين حين وآخر تظهر لنا نسخًا من كتب قديمة لأحد العصور بها ما يغاير ما قرأناه عن التاريخ طوال حياتنا، وغالبًا ما نرفضها ونجرمها ونصف من يتحدث بها بالهرطقة والادعاء والكذب، ليس لشيء سوى أنها تصطدم بما رسخ في عقلنا الباطن من الصورة الذهنية عن الأمر ولأن الإنسان دائمًا عدو ما يجهله، والمنطق أيضًا يخبرنا أنه ليست بالضرورة الرواية المغايرة والمعارضة تلك هي الصحيحة بل هي وجهة نظر أخرى، وستجد وجهة نظر ثالثة ورابعة للحدث نفسه.

مثل أن تستمع اليوم لبرنامج تليفزيوني في قناة معارضة فتجد آراء هدامة لكل ما يبنى، حتى وإن كانت المعارضة بدون منطق ثم تستمع لحوار آخر في قناة مؤيدة فتجد رأيًا آخر مؤيدًا للحدث ومبرز كل جوانب التميز، حتى وإن كان هناك بعض العيوب البسيطة قد يتغافل عنها ولكن من خبرتك اليوم فيما ترى ستجد أصنافًا كثيرة.

منها المؤيد الأعمى الذي يرى حتى الأخطاء غير المقصودة الوارد حدوثها بفرض حسن النوايا هي عبقريات فذّة لا تدركها عقولنا المسكينة.

ومنها المؤيد المتفائل الذي يرى كل شيء جميلًا والإخفاقات كلها يمكن تجاوزها بابتسامة.

ومنها المؤيد المتشائم الذي يرى الإنجازات ولكنه يرى أنها لا تكفي.

ومنها الموضوعي المحايد الذي يحلل ويناقش الحقائق كما هي عليه.

ومنها المعارض المعتدل الذي يعارض ما يراه ليس جيدًا ويضيف له حلولًا أو مقترحات للحل ويؤيد ما يراه جيدًا.

ومنها المعارض الأعمى الذي يدمر أي شيء جميل.

ومنها المعارض «**المشتاق**» الذي يعارض الأحداث سعيًا لتدمير المسؤول حتى يحل مكانه ويصور نفسه المنقذ.

وأصناف كثيرة أخرى.

وأحدهم سيكتب ما يرى ويقتنع في كتاب، وستمر مئات السنين ويقرأ كتابه هذا آلاف البشر ويدرسونه باعتباره تاريخًا مثلما فعلنا نحن ولا نزال نفعل، نقرأ المدون.. فلا نملك غيره ولا نملك رفاهية التغيير أو التحقق منه إلا في البعض القليل، وحتى في ذلك فإنه من أصعب الأمور أن تغير مفاهيم رسخت في عقلك منذ طفولتك.. أنت نفسك من ستحارب التغيير.

تخيل معي تلك المأساة.. تخيل صوت شخص يصرخ بالحقيقة من قبره ولا يسمعه أحد.. وقد مات واندثر منذ مئات السنين.. وملايين البشر يخرسونه.. ويطبقون عليه قبره، فقط لأنه المهزوم.. ولأنه لو كان انتصر لحظِي بفرصة الكتابة والنور.. ولأن طبيعة البشر رفض تغيير ما اعتادوا عليه من التاريخ.

إن أمعنت التفكير ستجد أن الحقيقة ألا حقيقة، وأن كل ما درسته وعرفته في حياتك ليس بالضرورة هو الصحيح، فعلى سبيل المثال إن كنت سمعت عن قصة ريا وسكينة الشهيرة فإن مجرد ذكرهن سيذهب بك ثانية إلى الصورة الذهنية الراسخة بعقلك، سيقفز

إلى ذهنك تلك المرأتان السفاحتان قاتلتا النساء وسارقتا الذهب، وسريعًا ما يتبادر إلى ذهنك مشهد تمايل القنديل مع الدخان، وقد تسمع في خلفية الصورة (الملاحة الملاحة وحبيبتي ملو الطراحة) أثناء انقضاض (ريا) على ضحيتها «**بالفوطة المبلولة**».

فإن أخبرتك أن ريا وسكينة لم يقتلوا النساء ولم يسرقوا الذهب! وإنهم كانوا أبطالًا للمقاومة ضد الاحتلال الإنجليزي، وإن عصابتهم كانت تنفذ جرائم الخطف والقتل ضد عساكر الإنجليز.. وإن تلك الرواية عن خطف وقتل النساء وسرقة مصوغاتهم الذهبية لم تكن سوى إشاعة من البوليس الإنجليزي لخلق جو من الرعب لدى المواطنين ودفعهم إلى الإرشاد عنهم.. قد يصيبك الاستغراب والشك، ولكنك إن بحثت قليلًا فغالبًا ما ستصدقني، بل قد تشعر بالإعجاب والفخر من نضالهم، وقد تخجل من نفسك لإهدار حق مناضلين طوال كل تلك السنوات.

ولكن ترى هل سيكون ذلك إحساسك نفسه لو كنت من مواطني بريطانيا العظمى!

بالتأكيد كنت ستقول لي هذا هراء كبير.. «**بس بالانجليزي**».

كذلك التاريخ.. تاريخنا وتراثنا هو في أغلب الأحيان وجهات نظر مثله مثل شعراء البلاط الملكي، يمجدون الملك ويتغنون بأمجاده وفتوحاته، فإذا ما انهزم ملؤوا الدنيا بقصائد هجائه وتحقيره، ومجدوا الملك المنتصر.

ولكن تكمن المشكلة الحقيقية أن التاريخ لم يكتب يومًا عن البسطاء.. عن الفقراء.. عن ذوي الشرف والنزاهة الذين لم تطالهم الشهرة إلا القليل جدًا.

أخبرني هل زرت يومًا قلعة صلاح الدين الأيوبي أو قلعة قايتباي مثلًا وتجولت داخلها؟

هل فكرت أثناء تجوالك في الجنود البسطاء الذين عاشوا داخلها من ١٠٠٠ سنة كيف كانت حياتهم.. طعامهم.. نوبات حراستهم في الشتاء القارص والبرد والمطر.. في مشاكلهم الشخصية.. معاناتهم.. آلامهم.. طموحاتهم وأحلامهم.

داخل تلك الأروقة ألف ألف حكاية طمسها الزمان.

ذلك طبع الزمان، طاحونة كبيرة داخل رحاها آلاف الذكريات المنسية التي لم يكتب لها النور يومًا ما، واندثرت وانتهت كأن لم توجد ولم يهتم أحد.. كذلك أنا وأنت مصيرنا إلى النسيان.. أو قد يذكروك في سطر في كتاب ما إن كنت من المشاهير، ولكن صدقني أنت ستموت وتندثر وما يكتب عنك سيعيش، سيبعث مرارًا مع كل قارئ.

وكل إنسان يسعى ليخلد ذكراه بأي طريقة ليترك أثرًا خلفه؛ لأنه في كل الأحوال متيقن أنه راحل.

قد يكون ما كتبت لك الآن هو ما سأتركه ولذلك أحاول أن أكتب ما ينفع، أنتظر بعد موتي أن يقولوا عاش رجل صالح، عاش رجل كتب يوما ما بعض الكلمات أفادت الناس، أنتظر أن يترحم عليَّ أولادي وعائلتي ومن أثرت في حياتهم.

لكن المصيبة أنه إن أسيء فهمك أو إن كتب عنك شخص حاقد عليك ستموت وتنتهي ولن تستطيع الرد.. وإن صرخت عظامك البالية من قبرك لن يسمعك أحد!

سيلعنك ألف شخص كل صباح وألف في المساء؛ لأنك أضعف كثيرًا من تلك السطور.. ولو ملكت الأرض، بضع كلمات من حبر على ورقة مهترئة هي أقوى منك وهي تعيش بعدك آلاف السنين.. قد تمجدك وقد تلعنك.. تذكر يومًا ما ربما بعد ١٠٠ سنة قد يكتب عنك ولن تستطيع تغيير ما كتب أبدًا

سيكتبون.. إما عاش الرجل الصالح.. أو عاش هذا الملعون منذ فجر التاريخ.

معاك شاحن

أحيانًا ما تشعر بالضيق فجأة بدون سبب محدد وأحيانًا العكس، من مقابلة شخص ما تحبه على سبيل المثال والجلوس معه بعض الوقت، وقد تشعر بالراحة الشديدة بعد أن تحتضن شخصًا تحبه، أو تنام على الحشائش في حديقة.

لا أعتقد أن أحدًا منا لم يمر بتجربة ظن فيه أن الأمر السيِّئ الذي حدث له في يوم ما هو نتاج حسد وعين ونظرة غير حميدة من أحد الأشخاص، ولك كل الحق في ذلك.

ولكن بعيدًا عن حقيقة وجود الحسد أو عدمه وتأثيره وذكر ذلك في الكتب السماوية.

فنحن نتحدث عن الطاقة بصفة عامة، ذلك العامل الخفي غير المرئي المؤثر في حياتنا.

وحديثًا بدأ العلماء والباحثون بمحاولة فهم وربط الطاقة الإيجابية أو السلبية بحياتنا، وبما يحدث لنا من اختلال وتأثيرات سلبية.

وقد يكون الحسد هو أحد الإثباتات العملية لوجود ذلك التأثير الخفي للطاقة السلبية، وأنا لست أبدًا مع الذين يتحدثون عن ذلك كخرافة.

لا، إنه موجود بكل تأكيد ومؤثر في حياتنا، شئنا ذلك أم أبينا.

والواقع أن حياتنا تتأثر فعلًا بالعديد من الأمور والظواهر والشواهد الخارجة عن فهمنا أو حدود معرفتنا وإدراكنا، والتي تتمحور حول الطاقة وتأثيرها فينا.

وليس غريبًا ونحن نعيش وسط صخب شديد ودوامات من الموجات اللاسلكية التي تنتقل منا وإلينا، كل ما نشاهده على الشاشات المختلفة بل وكل أصواتنا السابحة في الفضاء من شرق كوكبنا لغربه، وحتى الكواكب الأخرى، ونتأثر بجاذبية القمر وبالانفجارات الشمسية.

وكل هذا مرصود ومعلوم وليس بمستغرب، ولكننا اعتدنا أن نستبعد التأثير غير المفهوم للطاقة في حياتنا.

لكل ذلك، فإنه من الغريب رفض فكرة تأثير الطاقة أو انبعاثها من أجسامنا.

والمثبت علميًا بالتصوير تواجد مستويات للطاقة تنبعث من أجسادنا، وتحيط بنا طوال الوقت، وتُصور بأجهزة وكاميرات خاصة على هيئة هالة من الضوء أو الموجات الكهروماغناطيسية.

كما يُلاحظ اختلاف لون هذا الحقل الطاقي وشدته تبعًا للحالة النفسية للشخص، وتبعًا للمؤثرات المحيطة.. وهذا الحقل هو في الحقيقة يسبح خارج جسدك، محيط بك في الهواء.

وتتداخل حقول طاقاتنا في بعضها في الأماكن المزدحمة مثلًا، أو في جلوسك بالقرب من أحد الأشخاص.

إنها حقيقة علمية وليست مجرد تخمين أو تأليف، نحن نتداخل طاقيًا، وأثناء التداخل نؤثر في بعضنا البعض.

وهذا قد يكون أحد أسباب ضيقك المستمر من فكرة مقابلة أحد الأشخاص، في الحقيقة ليس ضيقك على الأغلب من تصرفاته، في الكثير من الأحيان تصاب بالضيق من شخص ما ولا تعرف السبب، والسبب قد يكون إنه يؤثر سلبًا في حقل طاقتك، يسرق منك الطاقة أو يعطيك من طاقته السلبية ويشتت طاقتك الإيجابية.

وهذا هو السبب أيضًا في تفريغ طاقة سيئة وشحن طاقة جيدة عند احتضانك شخصًا تحبه، كذلك تفريغ طاقتك في الأرض حين تنام على الحشائش في الحديقة، وتفريغ الطاقة السلبية وإعادة تلقيك للطاقة الإيجابية أثناء سجودك في الصلاة وملامسة جبهتك للأرض.

حتى الأفكار التي نفكر بها هي الأخرى نوع من الطاقة والذبذبات، وتمكن العلماء من رصدها بأجهزة مستشعرات في جهاز يشبه كثيًرا جهاز تجفيف الشعر الكبير الذي كان موجودًا في أغلب صالونات الكوافير، يجلس فيه الشخص، وعن طريق المستشعرات تمكنوا من قياس أفكاره حين يفكر في أمر جيد أو أمر سيِّئ أو شيء مخيف أو مريح للأعصاب.

الشيء الغريب في التجربة الذي لم ننتبه له هو أن الجهاز خارجي ليس موصولًا بداخل الرأس.. معنى ذلك أن أفكارنا تحيط بنا في الفراغ! وليست داخل رؤوسنا.

وتتداخل أفكارنا أيضًا في الزحام وفي التقارب، وليس لاختلاط الطاقات وتداخلها التأثير الوحيد المرصود والمشاهد في حياتنا، بل بالتأثيرات عن بعد أيضًا.

والغريب أنك قد تتفاجأ أحيانًا أنه لا يهم إن كان الفاصل عدة أمتار أو ألف كيلو متر، فالتأثير يحدث في كل الأحوال.

هناك شيء لم نستطيع فهمه حتى الآن، ولكن ذلك لا يمنع أنه موجود، ونحن نعلم جيدًا أن تركيب أجسامنا قائم على الكيمياء، وعلى الإشارات الكهربية والعصبية.

فنحن في الواقع نمتلك أجسادًا مستهلكة ومنتجة لصور عديدة من الطاقة.

وإن جاز التعبير فنحن مجموعة من المعامل والمفاعلات تمشي على الأرض، ولكننا حتى الآن نرفض فكرة الطاقات المتناقلة بيننا، ربما لأننا لا نفهم طبيعة عملها، ولأننا لا نفهم طبيعة عملها، فنحن أشبه بشخص مجبر على قيادة طائرة وهو لا يعلم الطيران.

نعم نحن ننتج طاقات كثيرة في كل وقت دون أن نعلم ماهيتها أو طريقة التحكم بها، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا للدرجة التي نرفض تصديقها. فالشواهد دائمًا ما تخبرك عن قصة الأم التي شعرت بالضيق المفاجئ وقت تعرض أحد أبنائها لمكروه وهو بعيد عنها في بلد آخر.

والشواهد تخبرك بأن الشخص الذي تفكر فيه بشده تفاجأ بأنه يتصل بك.

والشواهد تخبرك بأن من يفكر دائمًا ويؤمن بشدة بالنجاح والتقدم هو من يستطيع فعلًا النجاح.

وعلى العكس فالشخص المتشائم دائمًا الذي يرى كل أمور حياته سيئة لا يحصد إلا الأسوأ دائمًا.

وكتب ما وراء الطبيعة تملأ الرفوف بكل ما تتضمنه من ظواهر غريبة وغير مفهومة.

آلاف الحالات المسجلة علميًا لظاهرة التخاطر ونقل الأفكار عن بعد، والشواهد تخبرنا دائمًا وفي كل وقت لكننا دائمًا ما نترجم ذلك إلى الصدف.. و«**عمرك أطول من عمري**».

في الحقيقة نحن نخشى المواجهة، نخاف من حقيقة أنفسنا غير المحدودة.

قديمًا جدًا امتلك الإنسان البدائي الحاسة السادسة التي تختلف عن الحواس المعروفة لدينا الآن، وهي حاسة الاستشعار بالخطر، تلك الحاسة هي التي مكنته من الحياة في الكهوف وسط الحيوانات المفترسة والوحوش دون مأوى يؤمنه، لم يكن إحساسه بالخطر ينتج من شيء ملموس أو مسموع أو مرئي، كان ذلك الإحساس يوقظه من النوم حتى يستطيع الهرب، وكان يشعر به من مسافات بعيدة قبل وصول الخطر إليه، بلا تفسير فسيولوجي لدينا عن تلك القدرة.

كل ما عرفناه أنها اندثرت مع عصور المدنية والحياة في مستعمرات آمنة ثم قرى ومدن، اندثرت حين لم تعد مستخدمة بعد زوال الحاجة إليها، لكنها ظلت موجودة، معطلة لا نعرف كيف نستخدمها، لكنها تعمل أحيانًا من تلقاء نفسها وبدون سيطرة عليها، في أوقات الخطر أو الخوف، وتنتهي بانتهاء الخطر وزواله.

وكما ارتبط اندثار تلك الحاسة مع المدنية فالعكس صحيح كالعادة.

فحينما نجد العجوز الهندي يستطيع المشي على النار، أو يستطيع دفن نفسه في الرمال لعدة أيام، أو نجد العجوز البوذي يستطيع الجلوس عدة أيام بجسد نصف عارٍ على قمة جبل يكسوه الجليد ولا يشعر بالبرد؛ نعود لنستنتج أنّ هؤلاء تركوا المدنية والرفاهية وقضوا سنوات من التأمل والسيطرة على النفس.

نستطيع تسميتها رحلة الغوص في أعماق النفس لاستكشاف القوى الرهيبة الكامنة بداخلها.

تلك القوى التي يمتلكها كل منا لكن لا يعلم عنها شيئًا أو ببساطة لا يعلم كيف يوقظ ذلك المارد بداخله، فالحقيقة أن أجسادنا تمتلك قدرات عظيمة أكبر بكثير من قدرة تخيلها.

ولكن.. هل تصدق حقًا أن تلك القدرات هي فقط للأجساد، أنا لا أتحدث عن علوم الماورائيات ولكن لو كنت قد قرأت يومًا عمّا يسمى بالإسقاط النجمي فإنه يتحدث في صلب ذلك الموضوع.

وغالبًا ما يتجنب القارئون التبحر في ذلك الأمر، أولًا لغرابة ما يتحدث عنه، وثانيًا لصعوبة تصديقه، وثالثًا لإثارته الخوف من المجهول.

وتلك التجربة (الإسقاط النجمي) هي ببساطة تتحدث عن إمكانية الحصول على وعي كامل في أثناء اليقظة أو ببساطة خروج الروح من الجسد في أثناء اليقظه والوعي بذلك.

الحقيقة إنه كانت لي تجربة بسيطة وقديمة لم أستطع تفسيرها حتى الآن حدثت لي وعمري لم يتجاوز الثانية عشر عامًا تقريبًا، ولم أكن قرأت بالطبع أي شيء عمّا يُسمى بالإسقاط النجمي.

كنت ألعب كرة السلة وكعادة اللاعبين يركضون نحو الحلقة ويقفزون حتى يلقوا بالكرة داخل الحلقة ذات الشبكة الدائرية.

كنت أجري كالعادة وقفزت في الهواء بالكرة لألقيها كالعادة.. ولكن أحسست بقفزتي ترتفع كثيرًا جدًا، حتى رأيت الملعب كله من الأعلى، وبتلقائية نظرت للأسفل لأتفاجأ أني أرى نفسي وأنا أقفز وأصوب الكرة.. حدث كل هذا في لحظه، لكنها لن تمحى أبدًا من ذاكرتي.

وهبطت من قفزتي نحو حلقة السلة وكأن شيئًا لم يكن، عدت داخل نفسي لكن بالطبع سقطت الكرة من يدي، وتسمرت لحظة في مكاني لا أفهم شيئًا ولم أتذكر سوى أنني تركت الملعب وركضت نحو البيت ودخلت غرفتي وجلست أحاول فهم ما حدث، حتى أنني لم أخبر أمي من شدة الخوف.

ما رويته كان حقيقة وتجربة حقيقية مررت بها ليس خيال كاتب، ومنذ ذلك اليوم تغير مفهومي عن الروح والجسد حتى وإن كان مفهومًا طفوليًا في وقتها، إلى أن قرأت يومًا عن الإسقاط النجمي.

أنا لم أحاول التجربة أبدًا لكنني وجدت نفسي أصدق في إمكانية حدوثه كما حدث لي يومًا بدون أن أفهم.. وتستطيع أن تقرأ عنه في العديد من الكتب، بل إن أحد الأفلام الأمريكية الشهيرة تناولته في قصتها عن طبيب جراح أصيب في حادث وتضررت يداه وذهب إلى أحد المعابد ليتلقى العلاج الروحي، وبالطبع فباقي قصة الفيلم مليئة بالأحداث الخيالية ولكنه كان أقرب القصص تناولًا لطبيعة حدوث ذلك الأمر.

إذن، لو كنت قد صدقت قصتي، وهي حقيقية، أستطيع أن أخبرك أن بعض ما نعاينه من صفات أو قدرات غير مألوفة وخارقة للطبيعي هي موجودة، ليست خيالًا ولا خفة يد في الكثير من الأحوال.

في الصوفية على سبيل المثال، إن قرأت في أدبياتهم وحاولت كشف ستار بعض الطقوس التي لا يعلم فلسفتها سوى القليل، ستجد وعيًا في اليقظة أيضًا.. إسقاط نجمي آخر.

كثير منا لا يستسيغ ولا يعجب بفكرة التمايل على إيقاعات الأناشيد الصوفية، وكثير منا أحب رقصة التنورة بوصفها أحد العروض الفلكلورية أو التراثية، ولكن لم يتسائل أحد عن حقيقة الأمر.

في الفكر الصوفي ما يعرف دائمًا بالعشق الإلهي والتجرد، ومن التجرد يخرج العارف إلى بوابات النور، ذلك الخروج له أسلوبه، وذلك الأسلوب من وجهة النظر الصوفية كان الارتباط بتلك الدائرة والدوران بها في حلقات متواصلة لخلق دوامة من الطاقة، وجدوا أنها تصل بهم إلى بوابة نور، نوع من خروج الروح من الجسد أثناء اليقظة، كذلك فلسفة التمايل على الإيقاع، تلك الحركة البندولية تخلق مجالًا من الطاقة، ولأنها غير كافية للتحرر لزم أن تقام في مجموعات لتلتحم الطاقات مع بعضها وتخلق حقلًا طاقيًا كبيرًا.

أعلم أن خوضي في تلك الأمور غريب، لكن الغرائب حولنا تحدث دائمًا، وأيضًا أنا لست صوفيًا ولا أتبع لأي ثقافة من تلك الثقافات، لكنني قارئ لها ومهتم بها وبكل ما يساعدني في رحلتي في الحياة في فهم ما لم يعتد أحد فهمه؛ لذلك أطلب منك قبل أن أبدأ أن تعيرني اهتمامك وتفرد لي مساحة توضيح أفكاري التي قد تجدها مجنونة أو مهرطقة.

نحن نعلم جيدًا كيف خُلقنا، من كل الكتب السماوية الله أخبرنا أنه خلق آدم بيديه وعلى صورته، ونفخ فيه من روحه، ونحن سلالة آدم نولد في الأرحام ونتشكل ونتكون، وفي الشهور الأولى تنفخ فينا الروح التي لا نعلم كينونتها أو حدودها، لكن الله أخبرنا لمحة عنها هي الكافية والشافية، نفخت فيه من روحي وفي كل المخلوقات لا توجد حياة إلا بالروح.

البشر والكائنات والملائكة والجن والشياطين، كل حي يمتلك تلك النفخة الإلهية وبزوالها يعود الجسد خاويًا يموت ويتحلل وينتهي.

إذن إنها الروح واهبة الحياة، والروح هي من روح الله.

والله هو الحقيقة الوحيدة التي تمتلك الحياة والإرادة.. نعم هناك فقط الله ولا شيء غيره، هو الحي وهو واهب الحياة، بالطبع فليس معنى كلامي أننا آلهة ولكن كل منا يمتلك لمحة إلهية.. نفخة روح، ولتلك الروح طبيعة لا محدودة، وتلك الطبيعة اللا محدودة سجينة داخل جسد محدود القدرات والإمكانيات، ولكنها ليس كذلك ولها تجلياتها ولها قدراتها غير المحدودة.

إن أنت استطعت أن تنفصل عن جسدك فستحظى بقدراتك الحقيقية، وحتى تنفصل عنه وتحلق وتعلم الحقيقة المخفية.

قد تستطيع أن تحاول إن علمت قدرتك الحقيقية.

فأنت وكل المخلوقات في الكون تنهلون من المصدر نفسه، أنت وكل المخلوقات، كل كائن حي لم يكن ليحيا بدون روح.

والروح هي تجلي الإله فينا، هي نبع النور الذي اشتركنا كلنا فيه.. لا فرق بين روح إنسان وروح ملاك، بل إن الله فضلنا عنهم بأن أعطانا الإرادة الحرة، إرادة الاختيار.. ولكن لم يكشف لنا عن مفاتيح الأسرار.

نعم روحك هي من روح الله وروح الله هي الحياة، والله هو القدرة غير المحدودة والمطلقة.

هو الحي في الكون وهو بنفخه الأرواح يمنحنا الحياة.

لكن كما قلت لك فإن الله أعطاها لك كهبة إلهية.

وللروح طبيعة مختلفة عن الجسد في التواصل والتعارف والصفات والقدرات، الروح لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر.. ليس بطريقتنا.

كل الحواس مرهونة بالجسد الذي وجدت بداخله.. لكن قدرات الجسد محدودة وقدرات الروح غير محدودة، ونحن لا نعلم عنها شيئًا.. فقط بالارتقاء بالتأمل بالفلسفة نحاول التعرف عليها، والقليل من يصل إلى عتبة الباب، القليل من يستطيع فك بعض الطلاسم ويبدأ في التعرف على القدرات اللا محدودة بداخله.

إن العديد من الظواهر الخارقة المرصودة هي في الأساس خارقة لقواعد الجسد، لأننا نقارن دائمًا بمحددات الجسد وقدراته الفسيولوجية.

ولكن جميع الخوارق لن تصبح خوارق إذا ما نسبناها إلى الروح، إذا فكرنا في إمكانية تأثيرها وقدراتها.

والآن هل فهمت وجهة نظري.. هل أعود بيك إلى حديثنا عن الطاقة وعن القدرات.. إنها تجليات الروح.

أنت تختبر القليل ممّا تستطيع، لكن كما قلت لك الله لم يكشف لنا مفاتيح الأسرار.

هل أدركت الآن مصدر الطاقة بداخلك؟

وهل أدركت تأثيرها علينا وإمكانية فقدها وإعادة شحنها؟

هل أدركت أن أجسادنا تعمل كالبطاريات، تتشبع بالطاقة وتستهلكها؟

عندما تشعر بالضيق ثانية بدون سبب مقنع ما عليك سوى إعادة الشحن..

وقد علمت كيف.

لا داعي حينها لكي تسأل أحدًا ثانية «**معاك شاحن**».

ماتريكس

هل سبق أن شاهدت هذا الفيلم الشهير؟

إن لم تكن شاهدته فإنني أستطيع تلخيص قصته لك في أنه يتحدث عن أشخاص يعيشون حياة عادية طبيعية وحياة أخرى افتراضية بعقولهم داخل برنامج كمبيوتر ليُتلاعب بعقولهم حيث كل شيء حولهم مصمم على برنامج كمبيوتر من الأشخاص، وحتى الأكل والشرب.

وقد استوقفني هذا الأمر كثيرًا وفكرت، وأردت أن أشارككم هذا التفكير.

أولًا: أخبرني إذا سمحت كم من المرات أكلت «**بطاطس مقليه بطعم الكباب**»، وشربت عصير برتقال لذيذ في علبة من «**ثلاجة البقال**»؟

وفي العيد هل اشتريت الكحك بالسمن البلدي؟

وهل رششت معطرًا في الجو برائحة الخوخ واستمتعت به؟

حسنًا، أنت بالتأكيد فعلت.

ولكن هل فكرت يومًا أن ذلك الكباب وذلك البرتقال الذي استمتعت بطعمه وتلك الرائحة التي أسعدتك هي في الحقيقة وهم.

أنت لم تشرب البرتقال يا صديقي، وإنما وضعوا لك طعمه في فمك.

وأنت لم تستنشق ثمار الخوخ بل وضعوا لك رائحتها في أنفك.

إنها الكيمياء يا صديقي.. مكسبات الطعم والرائحة.

إنها اشياء لا تمت للبرتقال أو الخوخ بأي صلة.

لكنهم تلاعبوا بأحاسيسك، وأنت استمتعت بالوهم.

رائحة السمن البلدي التي أجرت لعابك هي مُكسب طعم.

والكباب يا صديقي يشوى على الفحم ولن تجده في البطاطس المقلية.

أنا وأنت أسرى للوهم في الكثير من أمور حياتنا.

ليس فقط عصير البرتقال والبطاطس بل إن هناك صناعة وتجارة كبيرة جدًا في العالم تقوم على صناعة الوهم.. وعقولنا تتكفل بالباقي.

بكل الإحساس باللذة والاستمتاع بالطعم والرائحة.

نعم اعطِ لعقلك المفتاح وهو سيكمل باقي القصة.. هكذا يعمل العقل.

يطور ويربط بآلاف المواقف والذكريات المرتبطة بهذا الطعم أو تلك الرائحة لينتج لك هذه المتعة.

هل فكرت يومًا في كمية الأوهام التي يجعلنا عقلنا نستمتع بها دائمًا ويوميًا بعيدًا عن الحقيقية.

في سماع أغنية ما على سبيل المثال يربطها عقلك بذكرى قديمة.

قد تملؤك سعادة، أو قد تعصف بك حزنًا، مع أن سبب السعادة أو الحزن قد انتهى منذ سنوات.

وقد تشاهد صورة لزجاجة مياه غازية وهي تفتح ويتصاعد منها الفقاعات المتطايره وتلامس وتدغدغ أنف الفتاة الشقية وهي تحاول الشرب، فتشعر فجأة بالظمأ الشديد والرغبة الملحة لتلك الزجاجة.. نعم، هكذا يتلاعب بك مصمم الإعلان.

وفي علوم التسويق يدربون المسوقين على كيفية خلق دوافع الشراء لدى العملاء، تلك الدوافع التي قد لا تتوفر لدى العميل من الأساس، لعبة نفسية تهدف إلى إثارة رغبة دفينة لدى العملاء تدفعهم للموافقة على إبرام الصفقات.

فعلى سبيل المثال إن عرضت عليك شراء هاتف محمول (بسعر خرافي أعلى بكثير من إمكانياتك) لكنه يحتوي على تكنولوجيا جديدة غاية في السرعة ويستطيع إجراء المكالمات بمجرد النظر إليه ومدمج به ١٢ كاميرا خلفية بدقة ونقاء صورة خرافية.. سترفض بالطبع، وسبب رفضك هو الجملة (ما بين القوسين)!

ويرجع ذلك لأنني عرضت عليك الأمر بالطريقة الخاطئة، فلسيت تلك طريقة عرض السلع التي تخلق الدوافع؛ لأنني ركزت تفكيرك على ما وضعته بين القوسين، وأخبرتك به أولًا وقبل أن أعدد لك مزايا الهاتف والذي مسبوقًا بكلمة (ولكن).

الخطأ الأول فيما فعلت كان أن أعطيتك دافعًا للرفض في البداية، لذلك فمهمتي أصبحت أصعب؛ لأنني سأحاول بعدها أن أقنعك بالمزايا وأثنيك عن الرفض في آن واحد.

والخطأ الثاني هو أنني أضفت كلمة (لكن) ذات السمعة السيئة، التي دومًا ما يأتي بعدها يكون تبريرًا لما قبلها.

ما رأيك أن تمنحني محاولة أن أعرض عليك شراء الهاتف ثانية.

حسنًا.. لدي ما تحلم به ويحلم به كل شخص، هاتف هو الأرقى على مستوى العالم، اختيار كل الناجحين من رجال الأعمال والفنانين والمشاهير، مجرد امتلاكك له يجعلك الأفضل بين أصدقائك، يسهل عليك حياتك، تستطيع استخدامه أثناء قيادة سيارتك بمجرد نظرة إليه وبأمان شديد، تستطيع متابعة جميع أعمالك وحساباتك البنكية بل وحسابك في البورصة من خلاله بمجرد نظرة، تستطيع إرسال واستقبال جميع رسائلك المهمة بأمان بفضل تكنولوجيا الحماية الفائقة، لديه عدة كاميرات هي الأعلى تقدمًا ووضوحًا ودقة، لتحصل على أفضل صور ذكريات حياتك وأوقاتك السعيدة، تستطيع زوجتك التقاط أجمل الصور لها دون الحاجة إلى

تعديل في الصور كطبع النساء عادة، هل تعلم تستطيع بالكاميرات فقط أن تجعل منه مشروع تصوير احترافي بأفضل جودة وتجني منه المال والنجاح، كل هذا وأكثر كثيرًا جدًا تستطيع الحصول عليه بسعر لا يقارن بمزاياه، وبتسهيلات في السداد إن كنت تملك بطاقة إلكترونية على عدة شهور لن تشعر بدفعك ثمنه من الأساس، أخبرني الآن أي لون من الألوان ترغب في طلب جهازك حتى أدرجه في قسيمة الشراء قبل نفاذ الكمية!

حسنًا.. انتهى العرض، الآن أخبرني كم هاتفًا تريد.

بالتأكيد تعلم أنه كان الهاتف نفسه في الحالتين، السلعة نفسها، ولكن في المرة الثانية أضفت عليها خداع عقلك.

ذلك هو السبب الذي من أجله كان البشر هم أكثر مستهلكين على وجه الأرض، وفي أغلب الأحيان مستهلكين لسلع لا فائدة لها على الإطلاق.

خلق الدوافع في الشعور، تلك اللعبة التي يلعبها عليك المسوقون والتي تطورت لعلم ودراسة والعديد من الكتب والمحاضرات.

هي أيضًا المهارة المتوفرة لدى كل المحتالين والنصابين.. خلق الدافع لديك الذي يجعلك تستعطفه من أجل أن تعطيه أموالك عن طيب خاطر وبابتسامة كبيره على وجهك.. والسبب عقلك، لأنك لم تدربه جيدًا على كشف هذا الزيف، واستمتعت بهذا الإحساس الزائف.. أنت ضحية عقلك.

إن لم تفهمه فهو قادر على أن يصنع لك الرغبة ويدفعك لتحقيقها فورًا، على الرغم من عدم وجودها ولا تأثيرها عليك من ثانية واحدة؛ لأنه تم التلاعب به من متخصص إعلاني، وبالاستعانة بالأخصائيين النفسيين لإنتاج إعلان يحرك فيك الرغبة.

نعم، تتعرض للمؤامرات من شركات الدعاية والإعلان، وعقلك المسكين في أغلب الأحيان لم يُدرب على صد العدوان، على كشف التلاعب، وأصبح فريسة لكل متلاعب به.

عقلك يا صديقي مُصمم للنجاح والتطوير.. النجاح في كل شيء والتطوير في أي شيء.

إن كنت فاشلًا فعقلك سينجح في الفشل! ويطوره ويحسنه ويبتكر طرقًا أفضل وأسرع للفشل، ويدفعك بألف طريقة لمواصلة الفشل.

إن كنت تخشى الظلام فعقلك سيظل دومًا ينسج لك كل حكايات العفاريت في الظلام ويطورها ويضيف عليها، حتى إن تطلَّب أن يخلق لك هلاوس بصرية وسمعية ليكمل فيلم الرعب.

ومخطئ أنت إن ظننت أن لعقلك حدود.

فالعقل هو عضو يعمل طوال الوقت في الاستيقاظ وفي النوم نحو تطوير أي شيء وضعته بداخله، فقط احرص على معطياتك.

لا تحيا في الوهم وتترك لعقلك رسم الوهم والإبداع فيه يومًا بعد يوم، إن سلمت عقلك مفتاح إصرار ونجاح سيبدع في دفعك للنجاح، وإن سلمته مفتاح شهوة سيبدع في السيطرة عليك بها.. أنت سيد قرارك.

لذلك فأنت بدلًا من أن تنزلق في دوامة الوهم التي نسجها لك المحيطون بك تستطيع أن تضع الحقيقة لعقلك في صورة الوهم، وتملك مفاتيحه.. لا بد أن تتعلم كيف تخدعه لتحصل على ما تريد منه.

إن كنت أدركت كيف يتم التلاعب بعقلك وخداعه، لماذا لا تعكس الأدوار، وتخدعه أنت بيدك، لتحصل على كل ما يستطيع فعله فيما ينفعك ويدفعك للنجاح، الحياة السعيدة.

هذا ما يطلق عليه في علوم التنمية البشرية (البرمجة اللغوية العصبية)، وهو يتحدث عن ذلك تفصيليًا، عن قدرتك على برمجة عقلك ليدفعك إلى الأمام.

فكما قلت لك إن رائحة أو طعم أو صوت قد يرتبط مع عقلك بذكرى معينة، وذلك الارتباط الشرطي يجعل عقلك يسترجع لك إحساسك الذي عشت فيه في الموقف نفسه بمجرد حدوث الشيء المرتبط به كسماع أغنية مثلًا.

حسنًا، إن فهمت اللعبة جيدًا لماذا لا تلعبها مع عقلك.

تستطيع الآن أن تخلق لعقلك ارتباطًا شرطيًا جديدًا.

في لحظة نجاح أو سعادة اسمع أغنية جديدة أو استنشق عطرًا مميزًا .

أو افعل حركة بيدك كضم قبضة يدك بقوة مثلًا، اشرب عصير برتقال، تناول وجبتك المفضلة.. إلخ.

اصنع لنفسك ارتباطًا شرطيًا، وألقه داخل عقلك في تلك اللحظة التي تشعر فيها بالسعادة، بالنجاح، بالفخر.

وراجع هذا الشعور عدة مرات، امنحه القوة داخل عقلك الباطن وتذكره كثيرًا في الأيام المقبلة، اترك الابتسامة تنطبع على شفتيك كلما تذكرته، امنحه الحياة داخلك بلا قيود، ثم إن شعرت يومًا بالإحباط أو الحزن، ما عليك إلا سماع الأغنية أو استنشاق العطر أو تناول العصير أو الوجبة.. نعم، إن جَعل عقلك الأوهام حقيقة اجعل له الحقيقه وهمًا، واغتنم من الوهم الحقائق، ومن الحقائق الأوهام.

فيلم رعب

هل سبق لك أن شاهدت أحد أفلام الرعب؟

قد تكون شاهدت سلسلة من تلك الأفلام، لكن حقًا أنا لا يعنيني كم الدماء التي تطايرت على وجه بطل الفيلم أو كم الجثث التي تحولت إلى أشلاء ولا كم الأشباح والأرواح الشريرة التي تسعى للانتقام من قاتليها.

إن ما يعنيني في الأمر هو كم استغرق الفيلم!

ساعتين مثلًا، هذا هو الرعب.

ساعتين مضوا من عمرك لن يعودوا.

ساعتين اقتربوا بك من النهاية.

وأنت لا تعلم موعدها.

قد لا أكمل هذا السطر وقد لا تكمل أنت قراءته!

هذا هو الرعب حقًا.

إن في حياتنا الكثير من تلك الساعات المهدرة..

في المواصلات.. في النوم.. على شاشة موبايل.

هل تعلم أن قراءتك لتلك السطور قد سرقت من عمرك حتى الآن دقيقة أخرى! هل توقفت عن القراءة أم تريدني أن أكمل.

حسنًا، فلنكمل.. تعال معي نحكي قصة الفيلم المرعب الحقيقي.

قصة حياتي وحياتك.. كم تظن أنك ستعيش ٦٠.. ٧٠.. ٨٠ سنة.. حسنًا لنجعلها ٨٠، ٩٦٠ شهرًا، ٢٨,٠٠٠ يوم، يضيع ثلث هذه المدة في النوم، وثلث آخر في العمل والدراسة والمواصلات ومتطلبات المعيشة والحياة، ويتبقى لك الثلث لتحياه لنفسك!

حوالي ١٠/٠٠٠٠ يوم وهو ببساطة حوالي ٢٦ سنة فقط!

عمر شاب في ريعان الشباب والحيوية.

فكم ضيعت منهم أمام الشاشات، على القهوة، أو في أوقات الفراغ!

إن علمت أن العمر الحقيقي الذي تعيشه هو بضع وعشرين سنة.. هل تتغير نظرتك للحياة قليلًا.

هل شعرت بقيمة الساعات التي قضيتها تقلب في هاتفك بدون معنى أو تلك التي ضاعت في حالة نفسية سيئة.

عزيزي يا من تقرأ هذه السطور.. إن كنت شابًا في العشرين أو ناضجًا في الأربعين أو الخمسين أو كنت شيخًا في السبعين أو الثمانين.. أنا أعلم أن من بداخلك هو ذلك الطفل أو الشاب الذي لا يشيخ.. الروح والنفس نفسها لم تتغير والأحاسيس والمشاعر المتراكمة نفسها.

إن فيلم الرعب الذي أحكي لك عنه هو كما قلت قصة حياتك؛ لأني أعلم أنك هنا في داخل هذا الجسد.

وأعلم نظرة الرعب والاندهاش حينما تطالع وجهك في المرآة، وتتحسس تلك الشعيرات البيضاء في شعرك وتلك التجاعيد على وجهك.

وتتسائل متى وكيف تكونت!

أعلم أنك تكاد تصرخ من هذا الذي يطالعني في المرآة.

أنا هنا في الداخل لست هذا الرجل ذو الشعر الأبيض.

أنا هنا المفعم بالحيوية.

ومن هذا الرجل العجوز الذي قيدني بالداخل، ولماذا لم أعد أستطيع الركض والقفز، ولماذا يؤلمني ظهري وقدماي.

نعم أنا لا زلت هنا.. هل يراني أحد، لماذا يناديني الناس بأبي وعمي وجدي، وكيف ومتى مضت كل هذه السنين.. وكم تبقى.

ثم ماذا بعد، هل حقًا مضى العمر؟

الحق يقال، وأنا في منتصف العقد الرابع من العمر مثل الكثيرين، وحتى من تخطى الثلاثين سيشعر بكلماتي وبمرور العمر سيشعر بها أكثر وأكثر.

أنت محمل بكل ذكريات الطفولة والشباب بداخلك.

وللذكريات طبيعة خاصة، فكما قلنا سابقًا إنها فقدت ضلع الزمن، انتهى الزمن ومضى للذكرى؛ لذلك أنت تستطيع استرجاعها في لحظة ودون ترتيب زمني.. تستطيع أن تتذكر ذكريات «**أيام**

الجامعة وشلة الصحاب».. وبعد ثانية ذكريات الطفولة و«**اللعب في الشارع**».. وفي وسط كل تلك الذكريات ستجد العجوز نفسه والرجل نفسه.. والشاب نفسه والطفل الشقي نفسه.. أنت الشخصية نفسها، الإنسان نفسه الذي حمل آلاف الأيام والأحداث والذكريات.

جلسة واحدة مع أصدقائك و«**دفعتك في الكلية**» قادرة على استرجاع السنين. وزملاؤك ما بين الدكتور المحترم ورئيس النيابة والظابط والمهندس كل منهم يعيش في حياته بمنتهى الجدية في العمل والصرامة.. ولكل منهم مسؤولياته وكل منهم قدوة لأولاده، كل هؤلاء تجدهم في لحظة ارتد بهم الزمان وعادوا ليتعاملوا معك ومع بعضهم بأسمائهم المستعارة القديمة وسخروا منك ومن بعضهم وتنمروا على بعضهم وكأنكم بضعة صبية يلعبون في الشارع، في لحظات تزول الفوارق وتعودون شبابًا، و«**عيال**» أيضًا.

كأنكم تسألون أنفسكم «**السنين دي عدت إزاي وإمتى؟!**».

ولن يتغير هذا المشهد حينما يمر الزمن وتصبح أنت وأصدقاؤك «**شلة المعاشات**»، عندما تصبح أعماركم حول السبعين والثمانين سنة «**برضه جواكم نفس العيال اللي عاوزه تلعب**».

الحقيقة إنه بعدما يمر بك العمر في مرحلة غالبًا ما تبدأ من بعد سن الأربعين تبدأ الانتباه، مجرد دخولك مرحلة الأربعين يبدأ مصباحًا أحمر في الإضاءة أمامك طوال الوقت.

قبل هذا العمر كنت دومًا تتعامل على أنك شاب في العشرين، منطلق ولا يوقفك أي شيء، ولا تخشى الخطأ والفشل كثيرًا، فلديك الوقت الذي تتدارك فيه خطأك وتغير وتعدل ولا تحسب.

وبعد تخطيك سن الثلاثين تبدأ في التفكير في قراراتك، فقد اكتسبت بعض الخبرات، كما أنه أصبح لديك بعض المسؤوليات، ولكن لا زالت لديك الصحة والقدرة على العمل وتدارك بعض التعثرات.

تبدأ في تخطي حاجز الأربعين لتبدأ في العد التنازلي، ومن خبرتك أدركت أن السنين لا تتوقف عن العدو، ولم يعد الخطأ والفشل أمرًا سهلًا ولن تجد الوقت ولا الحماس والجهد لإعادة البناء، وأصبحت محملًا بالالتزامات والمسؤوليات التي تدفعك للتفكير ألف مرة قبل كل خطوة، لم يعد لديك رفاهية التوقف وإعادة التفكير، انزلق الحجر الكبير من أعلى الجبل ولن تستطيع إيقافه، إن حاولت دهسك في طريقه.

أما أكبر مشاكلك فهي إن مرحلتك القادمة غريبة جدًا عليك، مرحلة الخمسين، حتى الآن فكل خبراتك في الحياة رادفت الشباب والحيوية حتى مع المسؤوليات وإجهاد العمل، لم تألف على إحساس الرجل العجوز إلا من مشاهدات أبوك وجدك، لكنك لا تعلم إحساسهم.

وفي ذكرياتك عندما كنت طفلًا، كان لفظ خمسين سنة مرادفًا للرجل الوقور المحترم، لا هزار، ولا ضحك عالي الصوت، وهذا الرجل هو من يناديه الشباب في الطرقات بألفاظ مثل «**يا حاج**» و«**يا والدي**».

وقد يصل الأمر أن تجد من يقف لك في المواصلات حتى تجلس!

ويقفز في ذهنك السؤال «**هو أنا عشت كل ده إمتي؟**».

أنا أتذكر منذ فترة قصيرة ذكرياتي في المدرسة الابتدائية والإعدادية.. أتذكر أيام المذاكرة في الثانوية العامة، وذكريات الكلية والانطلاق والجنون والتسلية، وأتذكر أول يوم تسلمت فيه عملي.. أتذكر يوم ميلاد طفلي الأول.. وطفلتي الثانية..أتذكر ترقيتي في عملي وانتظاري لها وفرحي بها.. وترقية ثانية وثالثة.

كل تلك الذكريات مرت في بضعة شهور بالتأكيد، من الذي أعطاها كل تلك السنوات من عمري، لماذا لم يستشرني أحد في ذلك أو يطلب موافقتي.

«**اللي بأقوله ده مش خيال ولا هو بلاغة، ده حقيقي جدًا**»

وهناك لحظة ما قد مرت على الكثيرين ولكن للأسف لن يستطيع أحدهم أن يرويها لنا.. لحظة ستتسائل فيها، هل حقًا انتهت رحلتي إلى هنا.. هل هذا حقًا موعدي للمغادرة، كيف بهذه السرعة!

هل لن أستطيع الذهاب إلى موعدي الليلة، والمصيف في الأسبوع القادم!

هل حقًا سألغي كل ما خططت له الفترة القادمة!

هل انتهى الوقت، ألا يوجد لديكم وقت إضافي!

صديقي العزيز.. للأسف كان هذا هو الجزء الأول من فيلم الرعب.. فإن كان لديك الشجاعة تعال لأحكي لك الجزء الثاني.

وكعادة الأفلام السينمائية فإن الجزء الثاني هو الأكثر رعبًا والأكثر إيلامًا ولكن سأحاول ألا أكون قاسيًا عليك بالحقيقة.

الآن وقد مضى العمر أو في طريقة ليمضي.. الآن وأنا وأنت لا نعلم متى يمضي، لكننا نعلم النهاية المحتومة، كالعادة سنمضي في يوم ما، وسيجتمع الناس حزنًا عليك، زوجتك المسكينة.. أولادك.. إخوتك وأهلك وأصدقاؤك، سيبكون ويحزنون يومًا.. اثنين أو ثلاثة.

لا تقلق أيها الرجل الصالح سيتذكرون أعمالك وستصبح ذكرى جميلة وسيتحاكون عنك مرارًا.. لشهور وسنين، ولكن بعد الشهور والسنين ستدور الحياة بكل من عليها، وستشرق الشمس وتغيب كل يوم.

لا أقول إنك ستُنسى لكن ذكراك يومًا بعد يوم ستنطفئ كما انطفأت ذكرى كل معارفك، أجدادك، عائلتك.

لم ننساهم ولن ننساهم، ولكنه طبع الحياة، سيعود كل منهم إلى عمله وينخرط في مشاكله وينخرط في مشاكل أولاده وتوفير معيشتهم، وفي مكالمات تليفون، وفي أحداث بلده، وفي خبر جديد كل يوم في الجرائد، بل سينخرط في إجازه الصيف والمصيف، وخطوبة ابنته وتجهيز طلباتها، ويفرح قليلًا ويرقص في فرحها.

كل هذا ليس معناه أنهم تناسوا ذكراك.. ستظل في عقولهم ذكرى جميلة، وسيعاود كل مكان كان لك فيه حياة معهم تذكيرهم بك ولكن حزنهم عليك سريعًا ما سيتحول لابتسامة رضا ولطف على ذكراك كأنك تراهم وتبتسم لهم من خلف حجاب على وعد باللقاء.. هذه حقيقة حياتنا.

وستمر السنون للأسف ولن يستطيعوا سوى أن يعيشوها ويوما ما ستلتقي بهم في الحياة الأخرى.

وكل أهلك ومعارفك وكل من تعرفه على هذه الأرض يومًا ما سيرحلون، ويومًا ما بعد سنوات طويلة لن يتبقى على وجه الأرض أحد يردد ذكراك، لن يتبقى على وجه الأرض أحد يعرف من أنت.

ربما بعد ١٠٠ سنة، للأسف ستكون كما لم تولد من الأساس.

هل أدهشك كلامي.. إذن أخبرني عن جدك الثالث من هو.

أخبرني شيئًا عنه عدا اسمه المكتوب في بطاقتك.

وأخبرني جدك هذا، هل كانت له أحلامه في الحياة.. طموحاته.. فشله ونجاحاته.. آراؤه وفلسفته.. قصة حبه ومعاناته.. وصيته، هل تعلم عنه شيئًا حقًا.

هل ولد أصلًا.. وهل مات.

هذا هو نحن، أنا وأنت وكل من تراهم.

هذا هو فيلم الرعب الذي حدثتك عنه.

خير اللهم اجعله خير

سؤال بسيط.. أين نكون حينما نحلم؟

نائمين على فراشنا أم سابحين في فضاء عالم آخر.

النوم في حد ذاته شيء غريب جدًا، يشبه الموت كثيرًا، ولكنه مختلف عنه بعض الشيء.

حالة غريبة ندخل فيها كل يوم من فقدان الوعي، لكن على الأغلب أن الوصف الأصح لتلك الحالة أنها عودة الوعي.

كثيرًا ما أسأل نفسي.. ما الأصل في الحياة.. الروح أم الجسد.

بالتأكيد إنها الروح.. الروح التي عندما تفارق الجسد يموت، وعلى الأغلب أننا دومًا لم ندرك أن النوم هو نزهه ليلية للروح!

كأي فيلم سينيمائي أو برنامج تليفزيوني.. الحياة التي نعيشها بكل تفاصيلها هي الفواصل بالنسبة للروح!

الروح التي تعيش بدون حدود وبلا عوائق، تتخلل حياتها الفواصل أثناء وجودها داخل الجسم، تقضي فيه فترة زمنية قصيرة كل يوم، كفقرة الفاصل الإعلاني، ثم تعود لحياتها الطبيعية أثناء نومنا حتى ينتهي الفيلم أو البرنامج فتعود لحياتها الطبيعية بدون فواصل مملة، وتترك هذا الجسد أخيرًا وتتحرر.

وفي النوم نشاهد الأحلام، وفي الأحلام نلعب وفق قوانين الأرواح، لا قواعد للزمان والمكان ولا قواعد للجاذبية ولا قواعد للحياة والموت.

ونرى أنفسنا نطير في السماء، ونتحول لشخصيات أخرى، ونبتل بالمطر في الصيف، ونسبح في البحر داخل «**البلكونة**»، ونرقص «**تانجو**» مع نملة أو ديناصور، ونتقابل مع أناس من بلاد بعيدة ونتقابل مع الأموات ونتكلم معهم ونلمسهم ونحتضنهم ونشعر بدفئهم.

ونصحو من النوم نتذكر من كل هذه الأحداث مجرد لمحات بسيطة، وكأن «**فلاش كاميرا**» في لحظة يضئ بنور ساطع ويخطف صورة من هنا وهناك في أثناء كل الأحداث، ولا نحتفظ منها بعد استيقاظنا سوى بتلك اللقطات.

حياة غريبة وعجيبة وقواعدها مختلفة لكن من الواضح أنها هي الحياة الحقيقية.

نستطيع البدء من هذه النقطة.. الروح .. ما هي على وجه التحديد؟

نعلم أنها نفخة من الله، ولها من صفاته الخلود، أو بنظرة أكثر عمقًا نستطيع القول إن كلمة الخلود نفسها لا معنى لها في تلك الحياة؛ لأن الزمن ليس له وجود في الحياة الأخرى، مثل قواعد كثيرة تحكم حياتنا الدنيوية.

والروح.. هذا الكائن اللطيف النوراني لا يتقيد بهذه القوانين إلا أثناء وجوده داخل جسد؛ ولذلك نستطيع إدراك أن الروح تسترد جزءًا من حريتها بمجرد خروجها كل ليلة ثم تسترد الحرية كلها بالموت.

وفي هذه الليالي تعود كل يوم في الصباح لصاحبها، ولو كانت عقولنا تستطيع استيعاب أحداث هذا العالم الخفي كان من الممكن أن نستيقظ كل يوم ونتذكر، ولكن لتغير القواعد التي لا يستطيع عقلنا أن يستوعبها كان لا بد أن تمحي من الذاكرة كل تلك الأحداث أو أن عقلنا هو من يمحوها بتلقائية لأنه لا يستطيع فهمها أو التأقلم معها، وقد يدفعه تذكرها للجنون.

عدا بعض اللمحات التي تستطيع الإفلات وهي الأحلام، تستطيع اعتبارها مجرد نافذة على العالم الآخر، نافذة تخطف منها مجرد لمحات بسيطة عن الحياة التي تعيشها كل ليلة بروحك، في عالم بلا حدود، حيث تتلاقى كل الأرواح.

لا قاعدة هناك تفرق بين روح بجسد حي وروح بجسد مات من ألف عام، وتتفاجئ بأنك لم تفترق يومًا عن شخص عزيز عليك خطفه الموت، بل إنك تسهر معه كل ليلة، وتتبادلوا أطراف الحديث حتى الصباح، وتطمئن عليه ويطمئن عليك، ويأتي موعد انصرافك، فتنصرف على وعد باللقاء في الليل!

وتعود إلى جسدك لا تتذكر شيئًا إلا لمحة ومن نافذة الأحلام أيضًا تستطيع الآن أن تدرك أن الموت لم يكن أبدًا شيئًا مخيفًا ولا حزينًا، إنه الوضع الطبيعي لروحك وليس تلك الحياة في الجسد.

ومن تلك النافذة أيضًا يجب أن تفكر جيدًا في عالم الأرواح الذي تنتمي إليه، وتهمل قليلًا عالم الفاصل الإعلاني الممل الذي تقرأ فيه هذه الكلمات الأكثر مللًا وفي مكان وجوده، هل هو عالم موازٍ يعيش في عالمنا نفسه وحولنا في الأماكن والطرقات ولا نراه، أم أَن عالمنا هو الدخيل عليه، وإن كانت الأرواح لا تتقيد بقواعد الزمان والمكان، فهل يا ترى تحيا بقوانينها، والحقيقه إن عالمنا نحن هو غير الموجود.

قد يكون انتهى وتبخر من ملايين السنين في الواقع، وإن الروح تسافر عبر الأزمان وتعود لتحيا بجسدك في الماضي، هل من الممكن أننا نعيش الآن في الماضي البعيد.. وكل الأرواح تسبح الآن في النعيم أو في الجحيم لذلك تتلاقى.

هل قامت القيامة على العباد في زمن موازٍ ونحن لأننا في الماضي ننتظر حدوثه.

هناك حديث يقول «**إن من مات قامت قيامته**»، وهو حديث ضعيف وقد يكون بلا سند لأمانة السرد، ولكن تلك الفكرة تسيطر عليّ أحيانًا، فكرة أن الموت هو قيامة كل شخص منا، فكرة أن الزمن الذي نتقيد به في حياتنا لا وجود له في الحياة الأخرى، وفكرة أن الحدث الذي لا يتقيد بزمن قد يحدث دائمًا بلا توقف أو يتكرر ملايين المرات، فلا حساب للتكرار حين لا حساب للزمن.

رؤيتي الشخصية للقيامة هي أن الحدث نفسه موجود طول الوقت (الوقت بمعيارنا الدنيوي).

وبأننا نعيش في ماضٍ، نعيش في طريق نقطع فيه كل يوم مسافة إلى الخلف، إلى اللحظة الموعودة.

وكل من يقطعها حتى النهاية، ينتهي وجوده هنا في عالمنا ليذهب إلى الحدث الكبير، ويبعث هناك ليجد الكل حوله منتظرين، كل الناس، من تركه على الأرض لم يزل حيًا ومن سبقه على السواء.

حرر عقلك، وأعد القراءة أكثر من مرة حتى تدرك ما أرغب قوله.

كل التفاسير عن نعيم وعذاب القبر والبرزخ والحساب والجنة والنار قد تصبح أحاديث رمزية تشير إلى ذلك، عندما يريد الله أن يطرح لنا الفكرة بالمحددات التي يستوعبها عقلنا.

ومن مات قامت قيامته ليست قيامته وحده بل إنها يوم القيامة لكل الناس، ولأن الزمن موجود لدينا فقط فإن الموت هو بوابة الحرية منه وبوابة الولوج إلى اللازمن، حيث الموجود يظل موجودًا بلا بداية أو نهاية.. هي كما قلت لك رحلة العودة للخلف.

رحلة العمل ونتيجة الامتحان في انتظارك في نهايتها.

وحين نموت ندفع الحجر من قمة الجبل، ليبدأ السقوط في تسلسل الأحداث العظيمة ولا شيء يوقفه.

الحقيقه إنني في الليلة التالية لموت أبي وقد كنت طفلًا صغيرًا لا يدرك النعيم والعذاب والجنة والنار، رأيته في حلم يرتدي أجمل الثياب ويقف في حديقة خضراء كبيرة لا حدود لها على الأفق ويبتسم لي ابتسامة رضا وطمأنينة.

قد يكون الحلم كله مجرد رمز، وقد يكون كما ظلت تراودني تلك الفكرة عن قيامة الأموات، فلا شيء يمنع ذلك إن كانت لعبة الأزمان حقيقة، وقد يكون ما استغرق ليلة واحدة حتى آراه في الحلم استغرق عنده «**ألف سنة مما تعدون**»، ولكن لا أعتقد أن عقولنا قادرة على استيعابها من الأساس، فالحقيقة إن التفكير في عالم بلا قواعد وبلا قيود للزمن قد يذهب بك إلى الفلسفة أحيانًا وإلى الجنون في أغلب الأحوال!

والحقيقه إنني طالما فكرت في فكرة الجنة بعد الموت، وطالما خطرت على بالي أفكار كثيرة لا يجرؤ أحد على مناقشتها، حتى أنا كثيرًا ما نفضت الأفكار عن رأسي خشية أن أكون مجدفًا أو يجذبني الأمر إلى الهرطقة.

في الجنة أنهار من عسل ولبن وفاكهة ناضجة وهذا الوصف جميل ونعيم،

ولكن تلك كانت مواصفات النعيم من ١٤٠٠ سنة، ولو سألتني عن مواصفات الجنة التي أرغب بها اليوم فمن الممكن أن تختلف.

أنا مثلًا أعشق البحر أكثر من الحدائق، أحب البيتزا وربما الشيكولاتة، وبالطبع أعشق القهوة ربما أكثر من الفواكه.

وربما لو سألت ابني عن مواصفات الجنة التي يرغب فيها لأخبرني أنه يريد بالجنة بلاي ستيشن!

والله قد أوجز لنا وصف الجنة بعد كل هذا التفصيل عن الأنهار واللبن والعسل في تعبير وافٍ، إن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وهذا ما يجعلها جنة، بها ما تشتهي وترغب أنت وليس فقط ما اشتهاه ورغبه الأعرابي الذي عاش من ١٤٠٠ سنة.

وبالرجوع إلى محاولة فهم حياة الأرواح لا بد أن نستفيد من تجربتنا الليلية مع الأحلام في الفهم وكأنها رسالة من الله في كل ليلة يرسلها إليك عن طريق حلم، نافذة صغيرة كما قلنا، وهذه النافذة توضح لك أن هذا العالم لا تحكمه القواعد، وإنك أحيانا أنت من تضع القواعد كيفما أردت.

الحقيقة إنك أنت من تخلق جنتك التي تريدها، مثلما أنك أنت من تصمم حلمك بدون التقيد بقواعد الحياة، وتستطيع أن توجد به ما شئت، وكذلك وصف الجنة في القرآن كان للرمز وليس للتقرير؛ ولذلك فإن وصف النعيم لرجل عاش من ١٤٠٠ عام في الصحراء كان بالتأكيد سيختلف باختلاف متطلباته عن اليوم؛ لأنك إن كنت أخبرته مثلًا من ١٤٠٠ سنة أن بالجنة تكييف هواء لم يكن ليعرف ما التكييف، وكيف يكون شيئًا جميلًا ليرغب به.

ولو استبدلت وصف الفاكهه بالشيكولاتة لم يكن ليفهمك، ولا يفهم ما هذه الشيكولاتة التي تضاهي جمال التفاح!

ولكن الله وقتها قد وصف نعيم المتلقي في زمانه وكان مجرد رمز آخر لكل ما يشتهى ويحلم به، ثم أردف بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، حتى يظل الباب مفتوحًا لكل ما يأتي بعده، ولكل أنواع النعيم التي تريد أن تصنعها أنت مثلما شئت، ذلك هو جوهر فهم كلام الله، الله دومًا يعطينا الرموز التي لا يستطيع فض خفاياها سوى من أمعن التفكير في إرادته وحكمته.

والمسيح طالما علم تلاميذه بالأمثال (الملح والخبز والخراف...).

والأمثال هي الرموز، وكان هذا على الدوام هو أسلوب الرسائل الإلهية للبشر، الرمز هو البليغ في مضمونه، وهو الذي يصلح في كل الأوقات تطبيقه طالما كان الرمز أو المثل هو الدرس ليس التقرير، وهذا ما ذهب بنا دائمًا لفوضى التفسيرات.

اهتمامنا دائمًا بالتفاصيل ومحاولة فهم كل شيء بالاستعانة بكل ما هو مادي ملموس، اليهود ضلوا طريقهم وشقوا على أنفسهم بذلك الذنب.. التفاصيل، أرادوا أن يفصل الله لهم شريعتهم في كل صغيرة وكبيرة من أمور الحياة لم يفهموا الرمز، كانت عقولهم مغلقة عن الحقيقة.

ووقع في الخطأ نفسه كثيرين من كل ما تلاهم من أهل الكتاب؛ لذلك كان دومًا هناك الرمز لكل شيء أخبرنا به الله «**تلك القطعة من النسيج التي يمكنك تفصيل كل شيء منها**» طالما استخدمت النسيج نفسه.

وحياتنا في الجنة لن يحكمها القواعد الحياتية بالطبع، وكما في الأحلام ليس للجنة حدود منطقية ولا أسوار ولا مكان، الحياة الأخرى لها قوانينها المختلفة، كل ما جاء في وصفها مجرد تقريب للمعاني بما يستطيع عقلنا فهمها، وكما في الأحلام نحن من نصنع القوانين ونغيرها بمجرد الرغبة، إن أردت البيتزا أو البرجر تستطيع صنعه بلا عناء وفي التو واللحظة، ولكن بأي شيء ستأكله.. هل للروح فم أو أسنان ومعدة، لعله رمز جديد، أنا أشتهي ذلك لأن جسدي يطلبه، فلو تخليت عن الجسد بالتأكيد سأتخلى عن الشهوات، ولن يصبح لها وجود في حياتي كأنها لم تكن من الأساس.. حرر عقلك وحاول الاستيعاب.

إن كنت خلقت دون أذنين أنت وكل المخلوقات، هل كنت يومًا ما ستتذوق الموسيقى؟ وهل كان يومًا ما سيوجد عازف أو مطرب، لمن يغني ومن يسمعه إذا كان لا يوجد سمع، كذلك نحن بأرواحنا.

هل إذا انتهت الأجساد صاحبة الشهوة احتاجت الروح لشهواتها، ولكن الله يخبرنا أنه سيبعثنا من جديد، ونستعيد الأجساد ثانية لنستعيد شهواتنا ونتذوق ونشم ونسمع ونرى، حينها تعود الشهوات حتى نعيش من جديد ولكن بشكل آخر بوعي كامل، وحينها يختلط الحلم بالحقيقة وتمزج كل الحقائق بكل الأحلام.

أتمنى لك العمر المديد، ولكن عندما تنام هذه الليلة تذكر هذا الكلام وحاول اقتناص كل ما تستطيع من حلمك، وحينما تصحو لا تنسي أن تقول «**خير اللهم اجعله خير**».

المحتويات

مقدمة	٥
كُن.. فيكُون	٩
على شط البحر	١٧
الثالــوث	٢٥
السرداب	٣٣
القرد .. ولا القُرداتي	٤٠
باب العيون	٥١
آلة الزمن	٥٨
المُعضلة	٦٨
حرب النجوم	٨٠
علبة ألوان	٨٨
كيف.. رأيت الله	٩٤

صديقي.. الفضائي	١٠٢
منذ فجر التاريخ	١٠٨
معاك شاحن	١١٥
ماتريكس	١٢٧
فيلم رعب	١٣٥
خير اللهم اجعله خير	١٤٣

كاريزما
للنشر والتوزيع